وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور يحي فارس المدية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

الاستشراق والمستشرقون ودورهم في كتابة التاريخ العثماني

. المدرسة البريطانية أنموذجا .

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ الدولة العثمانية (1453. 1924م)

إعداد الطالبتين:

. جازية ريوقي

. فايزة مسعدي

إشراف :

د.غربي الغالي

1441 /1442هـ

2021/2020م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نحمد الله عزوجل مولانا وخالقنا على أن قدر لنا أن نحيا لحظات البحث و سدد خطانا ووفقنا إلى أن أتممنا عملنا، كما يطيب لنا في هذا المقام أن نتقدم بالشكر الجزيل مع الإحترام والتقدير إلى أستاذنا العزيز الذي أضاء درب بحثنا الأستاذ البروفيسور" الغالي الغربي" حفظه الله ورعاه، قدمت ومازلت تقدم أحسن ماعندك، ولايزال العطاء والسخاء عنوانك تقبل منا كل عبارات الشكر والحب والإمتنان .

إهداء

إلى اللذين أنعم الله عليهم بالصحة والعافية وأوصى بهما خيرا حيث قال فيهما عزوجل"وبالوالدين إحسانا"..إلى من كانوا سندا لي؛ والدي الأعزاء؛ وفقهم الله في حياتهم ورزقهم بركة في العمر؛ إذ لطالما كانا العون الذي لا ينقطع وقدوتي في هذه الحياة علماني أن الإرادة تصنع المعجزات، وأن الصبر مفتاح الفرج وفرجي هو رضاهما عني .

إلى رفيق دربي زوجي العزيز "رشيد" الذي كان عونا لي في مساري الدراسي .

إلى كل فرد من عائلتي، إلى كل من كنا في دعائه، إليهم جميعا أتقدم باسمي عبارات الشكر والامتنان سائلة المولى عزوجل أن يحميهم ويرزقهم في الدنيا والآخرة..

فايزة

إهداء

إلى كل من جبر فيَّ خاطرا؛ ورَأَبَ بي صدعا؛ وربَّت على قلبي وزرع في ربوعي أملا ورسم على سُحنتي البائسة ابتسامة،،

إلى كل من آمن بي؛ وتوسَّم فيَّ بلوغ أعلى الدرجات العلمية ووطّن بي العزم على المواصلة،،

إلى كل من أعانني ويسَّر لي السبل لأجد متنفَّسا للدراسة والبحث؛ ولعلي أخص بالذكر في هذا المقام زميليَّ: "فاروق قطّار" و"عبد القادر زواني"..

إلى حبيبي وصديقي "محسن عبد الصمد".. دمت بهجتي،،!

إلى كتبي وموسيقاي وسويعات النوم التي كنت أحظى بها وسط كل هذه الفوضى ..إليكم جميعا أهدي هذا العمل!

جازية ٨٨

قائمة المختصرات:

تر	ترجمة
ج	جزء
م	مجلد
د.ت	دون تاريخ
د.ط	دون طبعة
د.د.ن	دون دار نشر
ط	طبعة
ع	العدد

مقدمة

مقدمة:

يعتبر الاستشراق من القضايا الفكرية الجوهرية التي لطالما أثارت جدلا بين الباحثين في شتى الميادين، ولعلّ طبيعة الدراسات الاستشراقية التي اهتمت في معظمها بكل ما يخص الشرق وحضارته وعقائدهp هي التي كانت مثار ذلك الجدل، خاصة وأن أصحاب هذه الدراسات كما هو معروف مؤلفون غربيون تختلف توجهاتهم ومنطلقاتهم الفكرية. يذكر أن هذا الجدل ليس وليد الساعة بل له جذور تاريخية تعود إلى البدايات الأولى للاستشراق، وبالنظر إلى الوسائل المتعددة والمتنوعة التي اعتمدها المستشرقون في دراساتهم؛ تتضح لنا جليا أهدافهم ودوافعهم الحقيقية سواءاكانت دينية، استعمارية أوعلمية.

حقيقة أن الاستشراق نشأ قبل ظهور الدولة العثمانية، إلّا أنه وإذا ما حاولنا إسقاطه على الدراسات التاريخية؛ نجد أن التاريخ العثماني كان من اهتمامات المستشرقينخاصة بعد فتح القسطنطينية، ومن أجل ذلك لجأت أوروبا إلى الفكر والأقلام الحاقدة التي انبرتعلى صنع الافتراءات حول الدولة العثمانية؛ إذ أنهم لما عجزوا عن غزوها عسكريا لجأوا لغزوها فكريا، ومن ضمن وسائل الغزو الفكري تلك الأقلام الاستشراقية التي شوهت التاريخ الإسلامي.

دواعي اختيار الموضوع:

جاء اختيارنا لهذا الموضوع لدواعي موضوعية وأخرى ذاتية، فأما الدواعي الموضوعيةفتمثلت في الآتي:

-إبراز وجهة نظر المستشرقين البريطانيين حول التاريخ العثماني ومحطاته الكبرى، وكذا المناهج التي اتبعوها في دراستهم له.

-دحض الآراء والافتراءات المغرضة التي انطوت عليها كتابات بعض هؤلاء المستشرقين.

-دواعي ذاتية: فتمثلت في رغبتنا في رغبتنا في الاطلاع على نظرة الغربيين للعثمانيين وتاريخهم وثقافتهم، وسبر أغوار تلك العلاقة التفاعلية بين الشرق والغرب.

أهمية الدراسة:

إن أهمية هذه الدراسة تكمن في رصدها لموقف مدرسة الاستشراق البريطانية من التاريخ العثماني، تبعا لمواقف أبرز أعلامها من المستشرقين، محاولين بذلك إلقاء نظرة تاريخية على الإسهامات؛ والمنهج الذي اتبعه هؤلاء المستشرقون في دراسة تاريخ الدولة العثمانية؛ حتى يتسنى لنا انتقاءالأفضل منها، والتمييز بين الموضوعي والمزيف، ذلك أنه ومن الطبيعي أن يكون التاريخ هو المظهر والقاعدة الخلفية للمنطق الفكري والبحثي لأي حركة علمية، أو تيار فكري تعتليه كل المناهض والمدارس الاستشراقية التي أنسبتإلى نفسها روح المبادرة العلمية في دراساتها بنظريات جديدة في تحليل التاريخ الإسلامي.

الإشكالية:

إن موضوع الاستشراق هو بحر واسع وله إنجازات اتسمت بها مدارسه العلمية، ومن هذا المنظور فالمدرسة البريطانية كان اهتمامها وثيق بالحضارة الإسلامية؛ كونها كانت السباقة لاجتياح العالم الإسلامي تحت راية البحث والاستقطاب الفكري لكن السؤال هو: إلى أي مدى كان المستشرقون البريطانيون موضوعيون في طرحهم لقضايا التاريخ العثماني ؟ وماهي الخلفيات التي تحكمت في توجهاتهم وآرائهم؟

الدراسات السابقة:

برزت عدّة دراسات تطرقت إلى موضوع الاستشراق بصفة عامة أوالتركيز على مستشرق معين ولعل أبرزها:

كتاب الدولة العثمانية من خلال كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية عرض ونقد وتحليل لأماني الغازي، وكتاب التاريخ الإسلامي من منظور الاستشراق الإنجليزي. (-لويس برنارد أنموذجا-) لضيف الله فاطمة الزهراء، ورسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي جاءت تحت عنوان : السيرة النبوية في كتابات المستشرقين البريطانيين دراسة تاريخية نقدية لآراء (توماس كارلايل، توماس أرلوند، ألفريد جيوم) لأمل الثبيتي، بالإضافة إلى عديد المقالات كمقال:الإستشراق وإسهاماته في كتابة التاريخ العثماني – برنارد لويس أنموذجا – للأستاذة سيحاوي أمينة، ومقال المسلم العثماني كآخر في كتابات لويس برنارد لبن سخري زبير.

المنهج المتبع في الدراسة :

اعتمدنا في معالجتنا لهذا الموضوع على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، أما المنهج التاريخي الوصفي فمرده أن الدراسة تعالج موضوعا تاريخيا؛ إذ كان لزاما علينا أن نسرد بعض الوقائع والحوادث التاريخية خاصة عندما تكلمنا عن نشأة الاستشراق بصفة عامة والبريطاني بصفة خاصة؛ ووسائله وكذا القضايا الكبرى التي عالجها في التاريخ العثماني، أما المنهج التحليلي فاعتمدنا عليه في مناقشة يخص مناقشة آراء المستشرقين وبما ورد في المصادر الإسلامية.

الخطة المعتمدة في الدراسة:

تتكون الدراسة من مقدمة ومدخل ومبحثين رئيسيين ثم خاتمة وضم كل مبحث مجموعة من المطالب.

في المبحث التمهيدي تناولنا الإطار المعرفي والتاريخي للاستشراق؛ ضبطنا من خلاله مفهوما للاستشراقوحددنا مراحل نشأته؛خصائصه ومناهجه وأهم مدارسه بشكل مقتضب. ويليه مباشرة المبحث الأول والذي جاء تحت عنوان مدرسة الاستشراق البريطانية ـ توجهاتها وأثرها. ؛ عرجنا فيه على بدايات الاستشراق البريطاني، وقدمنا تراجما لأبرز أعلام هذه المدرسة وكذاوسائلها، كما تكلمنا عن التراث الإسلامي والمدرسة البريطانية للاستشراق كمطلب رابع ، وأخيرا المبحث الثاني الذي اختص بقضايا التاريخ العثماني من منظور مستشرقي هذه المدرسة؛ فأفردنا مطلبا لرؤية المستشرقين البريطانيين لقيام الدولة العثمانية، أما المطلب الثاني: فبسطنا الحديث من خلاله على ضريبة الدم (دوشرمة) ونظام الحرملك كمطلب ثالث، ولم يفتنا أن نخصص مطلبا للحديث عن وضع أهل الذمة في العهد العثماني، وختمنا بمطلب خامس قيمنا من خلاله المدرسة البريطانية للاستشراق وما يميزها عن باقي المدارس، وختمنا الدراسة بسلسلة من الاستنتاجات كنا قد توصلنا إليها من خلال معالجتنا لهذا الموضوع .

مصادر الدراسة:

اعتمدت الدراسة على مؤلفات أبرز روادالمدرسة البريطانية للاستشراق على غرار:

استنبول عاصمة الخلافة الإسلامية لبرنارد لويس؛ والذي يعد مصدرا قيما لباحثي العلوم التاريخية بصورة خاصة والآثار والجغرافيا، ومعظم تخصصات العلوم الإنسانية على نحو عام،

بالإضافة إلى مؤلفه: ظهور تركيا الحديثة؛حيث يقع هذا الكتاب في تسلسل زمني ليس باعتباره تاريخا سرديا بسيطا عن تركيا؛ وإنما جاء محاولة لتتبع مراحل التغيير الرئيسية وتحديدها، وقد وضعت هذه الدراسة سنة 1950معندما أقصي حزب أتاتورك عن السلطة في انتخابات حرة، ودخلت البلاد مرحلة جديدة من تاريخها من حيث تحول الإحساس الجماعي بالهوية والولاء فيما بين الأتراك، وتحول نظرية الحكم وممارستها وتحول الدين والحياة الثقافية التي كانت تحكمها .

إضافة إلى كتاب الدعوة إلى الإسلام لتوماس أرنولد وقد قام في هذا الكتاب بالتعريف برسالة دين الإسلام وامتدادها؛ وما تدعو إليه والطريقة التي يدعو بها القرآن،هذا الكتاب من أفضل ما ألف، إذ أنه رصد انتشار الإسلام في كل بقعة من بقاعالأرض وقد أطلنا في النقل عنه لما جاء فيه من شهادات غزيرة حول سياسة التسامح الديني التي انتهجها العثمانيون تجاه رعاياهم الذميين.

أيضا كتاب المجتمع الإسلامي والغرب لهاميلتون جب وهارولد بوون تحدثا من خلاله عن ظهور الدولة العثمانية وبداية توسعها من مختلف جوانبها السياسية والعسكرية وكذا الاجتماعية والاقتصادية .

أما بالنسبة للمراجع فقد استفدنا بشكل خاص من كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد، وكذا كتاب الاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره لمحمد فاروق النبهان.وكتاب حسين الموسويالقابجي، دور الاستشراق وأثره على الفكر الإسلامي.كما أفادت الدراسة من كتاب نجيب العقيقي، المسترقون، وموسوعة المستشرقين لعبد الرحمان بدوي لمعرفة تراجم المستشرقين؛ وكذا كتاب عظيم الفائدة لصالح كولن جاء تحت عنوان سلاطين الدولة العثمانية

صعوبات الدراسة:

لقد واجهتنا بعض المعوقات والصعوبات التي لا يكاد يخلو بحث علمي منها فمن ذلك :

-تنوع موضوعات البحث لكونه شمل الاستشراق البريطاني وما مرّ به من مراحل وما هي مصادره ودوافعه ومناهجه في الدراسة وكذلك معالجة آراء كبار أعلام هذه المدرسة.

-عدم إلمامنا باللغتين التركية والإنجليزية التي كان من الممكن أن تفتح لنا آفاقا واسعة في البحث العلمي من خلال الوصول إلى مادة علمية خام تخدم موضوع الدراسة.

-كثرة أسماء الشخصيات والمواقع والمصطلحات والتي كانت ستشكل لا محالة عبئا ثقيلا على صفحات الدراسة لو تمت الترجمة لهم جميعا في الهوامش؛ لهذا اكتفت الدراسة بترجمة الأسماء والمواقع المهمة فقط.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا في تسليط الضوء على الاستشراق البريطاني وعلاقته بالتاريخ العثماني وأن نكون قد أعطيناه ولو القليل من حقه.

المبحث الأول

الإطار المعرفي والتاريخي للاستشراق

المطلب الأول: مفهوم الاستشراق

المطلب الثاني: نشأة الاستشراق

المطلب الثالث: خصائص الاستشراق

المطلب الرابع: أهم المدارس الاستشراقية

المطلب الخامس: مناهج المستشرقين ودوافعهم

تمهيد

يعد الاستشراق اليوم علما قائما بذاته لهكيانهومنهجيته الخاصة؛ فكان لزاما على الباحث تحديد مفهومه والوقوف على معالمه وآفاقه ومظاهره و خصائصه؛ إذ لطالما حظي الشرق بأولوية هامة في الأوساط الغربية، كما قد شاع عند اللاتين قديما ذلك المثل الشهير Ex orienteluxe أي "النور يطلع من الشرق"، و لا يزال الشرق موطـــن للديانات السماوية وغير السماوية و معهد الحضارات القديمة، و أرض للحكماء و المعجزات الخارقة.

المطلب الأول: مفهوم الاستشراق

1- **لغة**: بإعادة كلمة الاستشراق إلى أصلها نجد أنها قد اشتقت من كلمة شَرقَ (الشَّرْقُ المَشْرِقُ)؛ وهو أيضا الشمس يقال طَلَعَ الشَّرْقُ، و(شَرَقَتْ) الشمس طلعت[1]، ويقال: أَشْرَقَتِ الأرضُ: أنارت بإشراق الشمس[2]، و في التنزيل العزيز: {وأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا}[3].

كما توصل أحد الباحثين استنادا إلى قواعد الصرف وعلم الاشتقاق إلى التالي: الاستشراق من جهة شروق الشمس، ولفظ استشراق / استشرق هي على وزن استفعال / استفعل؛ مؤلفة من مقطعين: الأول وهو "است" والثانية "شرق"، ولفظ "است" لها دلالتها في اللغة العربية، وهي دائما تدل على إبراز أو إظهار ما كان مخفيا، أو ما حقه الظهور سواء علم أو لم يعلم، أو طلب أمر معين، ويفسر دلالاتها ما تلحق به من لفظ فيقال استخراج أي إخراج أمر من باطن الأرض أو من غيره، ويقال عمل واستعمل أي طلب العمل، وإذا كان اللفظ "است" يعني إظهار أو إبراز ما كان مخفيا سواء علم أو لم يعلم، فحين لحقت به كلمة "شرق" أصبحت تعني إظهار و إبراز ما كان موجودا في بلاد الشرق من علوم وأفكار؛ وما جاءت به حضارات الشرق بصفة عامة[4].

أما إذا نظرنا إلى كلمة استشراق باللغة الأجنبية وهي Orientation فنجد في اللغة اللاتينية أن كلمة orient تعني يتعلم بحث عن أمر ما، وفي اللغة الألمانية Sichorientiern تعني جمع معلومات أو

[1]- مختار الصحاح، ص141.
[2]- المعجم الوسيط، ص480.
[3]- سورة الزمر، الآية 69.
[4]- عبد الحليم ريوقي، ماهية الاستشراق (النشأة، المناهج و الأهداف – الأصناف و الوسائل)، مجلة الإنسان و المجتمع، العدد02، ديسمبر 2011، ص ص78،79.

معارف من مصدرها، أما باللغة الفرنسية orienter تعني التوجيه والإرشاد،والإنجليزية orientation أو orientate لا تخرج عن مفهومها باللغة الفرنسية في أنها تعني التوجيه والاهتمام بجوانب معينة.[1]

2- **اصطلاحا**: أبدىالعلماء و الباحثون آراءامتنوعة حول مفهوم الاستشراق؛ نذكر منها:

عرفه الدكتور إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق ـ المفاهيم الغربية للشرق ـ: "الاستشراق أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يسمى الشرق وبين ما يسمى في معظم الأحيان الغرب"[2].

في حين أن أنور الجندي يرى: " أن أصدق تعريف للاستشراق هو استخدام العلم في خدمة السياسة"[3].

كما عرف كذلك على أنه :اشتغال غير الشرقيين بدراسة لغات الشرق وحضارته وفلسفته وأديانه وروحانياته وأثر ذلك في تطور البناء الحضاري للعالم كله"[4].

أما اسماعيل محمد فقد أوردمن خلال كتابهالاستشراق بين الحقيقة والتضليل أن الاستشراق بالمفهوم العام هو طلب علوم الشرق وآدابه، واستشرق بمعنى طلب وأراد تعلم دراسة علوم الشرقوالمستشرقون هم قوم من غير الشرقيين أو هم الغربيون الذين تخصصوا في دراسة الشرق من كافة جوانبه علومه و تاريخه، و أديانه و لغاته وآدابه وشعوبه ...الخ لأهداف مختلفة ودوافع شتى[5].

بالنسبة لرودي بارك رودي بارك فيرى : " أن الإستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة، و أقرب شيء إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه.كلمة استشراق مشتقة من كلمة شرق وكلمة شرق تعني مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، و الأمر إلى هذا الحد واضح كله؛ ولكن ما معنى كلمة شرق في هذا المقام بالذات؟ الظاهر أن اسم الشرق تعرض لتغيير في معناه فالشرق بالقياس إلينا نحن الألمان يعني العالم السلافي الواقع خلف الستار الحديدي؛ وهذه المنطقة تختص بها علميا بحوث شرق أوروبا Osteuropaforschung، أما الشرق الذي يختص به الاستشراق فمكانه جغرافيا في الناحية الجنوبية الشرقية بالقياس إلينا، والمصطلح لا يرجع إلى العصر الوسيط بل إلى العصور القديمة إلى الوقت الذي كان فيه البحر المتوسط يقع كما قيل في وسط

[1] عبد الحليم ربوقي، المرجع السابق، ص78

[2] - إدوارد سعيد، الاستشراق ـ المفاهيم الغربية للشرق . ، تر: محمد عناني، ط1. رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، 2006، ص45.

[3] - أنور الجندي، الإسلام و الدعوات الهدامة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص251.

[4] - أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، (1418هـ / 1995م)، ص28.

[5] - اسماعيل علي محمد، الاستشراق بين الحقيقة و التضليل، ط6 . دار الكتب المصرية،(1436هـ-2014م)، ص11.

العالم، وكانت الجهات الأصلية تحدد بالنسبة إليه، فلما انتقل مركز ثقل الأحداث السياسية بعد ذلك من البحر المتوسط إلى الشمال بقي مصطلح الشرق رغم ذلك دالا على الدول الواقعة شرق البحر المتوسط".

" كذلك تعرضت لفظة "الشرق" في أعقاب الفتوحات العربية الإسلامية لتغيير آخر في معناها؛ أو إذا شئنا دقة أكثر تعرضت لاتساع في نطاق مدلولها، فقد انطلق الفاتحون في ذلك الوقت من شبه الجزيرة العربية لا ناحية الشمال والشرق فحسب، بل ناحية الغرب كذلك وزحفوا في غضون عشرات من السنين إلى مصر وشمال إفريقيا حتى بلغوا المحيط الأطلسي، ويختص الاستشراق وإن كان اسمه الاستشراق يفترض أنه يختص بالبلدان الشرقية دونغيرها ومهما يكن من أمر فإن الاسم لا يبين بوضوح مستقيم المقصود منه بالضبط والمهم هو الموضوع ذاته"[1].

- أما آربري[2] فيتساءل: " ماهو الاستشراق؟ وما كنه المستشرق؟ من الجلي أن الكاتب حين يعرض بمثل هذا الموضوع الواسع الذي لا يزال مجهولا بين الجماهير؛ يحسن به أن يحاول الوصول إلى إتقان بينه وبين قارئيه حتى يتعرفوا موقفهم تعرفا صحيحا، ومما يزيد من ضرورة هذا التفاهم أن الاستشراق ومثله في ذلك مثل كثير من فروع العلم الأخرى، قد تخطى حدوده إلى ميادين تنتمي في حقيقتها إلى علوم أخرى مستقلة عنه وإن كانت مجانسة له، حتى إن المستشرق يشارك في عمله عالم الآثار والحفريات والمؤرخ وعالم الصرف والاشتقاق؛ وعالم الأصوات والفيلسوف؛ وعالم اللاهوت والموسيقى والفنان، وأول استعمال لكلمة "مستشرق" رأيناه في سنة 1630م حيث أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية، وفي سنة 1691م وجدنا أنتوني وود يصف صموئيل كلارك بأنه (استشراقي نابه) يعني بذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية" و يرون في تعليقاته على Childe Harold's pilgrimage، يتحدث عن "المستر ثورنتونومعارفه الكثيرة الدالة على استشراق عميق"

" وفي خلال المجادلة التعليمية بالهند التي حسمها تقريرها كولي الشهير سنة 1834م كان المستشرقون هم الذين نادوا بالتعليم والأدب الهنديين، بينما سمى معارضوهم الذين رغبوا في أن تكون الانجليزية أساس التعليم بالهند (المتجلنزينAnglicists) ومما يؤسف له أن ما أنتجه هذا

[1]- رودي بارك، الدراسات العربية و الإسلامية في الجامعات الألمانية – المستشرقون الألمان منذ ثيودور دولدكه .، تر: مصطفى عامر، الهنية المصرية العامة للكتاب، مصر، 2004م، ص17،18.

[2]*آربري: مستشرق إنجليزي برز في التصوف الإسلامي والأدب الفارسي، ولد سنة 1905م في فراتون ، دخل جامعة كيمبردج سنة 1924م،عين رئيسا لقسم الدراسات القديمة بالجامعة المصرية؛ كما نشر تحقيقا لكتاب أهل التصوف .عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، ط3. دار العلم للملايين، بيروت، 1993م، ص5.*

النزاعالمشهور من الحزازات قد ألصقت باسم المستشرق قدرا كبيرا من القدح والنقد، ولا شك أن تشارلز دوتي كان يشير إلى ذلك حيث يقول "إن الشمس جعلتني عربيا و لكنها ما شوهتني قط بالاستشراق، أما قاموس أكسفورد الجديد فيحدد المستشرق orientalist بأنه "من تبحر في لغات الشرق آدابه"[1].

يقولالمفكر مالك بن نبي: إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي و عن الحضارة الإسلامية؛ ثم علينا أن نصنف أسماءهم في شبه ما يسمى "طبقات" على صنفين:

أ- من حيث الزمن: طبقة القدماء مثل جرير دور بياك و القديس توماس الإكويني و طبقة المحدثين مثل كارديقو[2] و جولدتسهير[3].

ب-من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام و المسلمين لكتابتهم: فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية و طبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها[4].

فيما يذهب أحد الباحثين إلى القول بأن الاستشراق هو تيار فكري غربي يدرس الشرق و الشرقيين ماضيا و حاضرا و مستقبلا لكن يوجهونه الخطاب الاستشراقي من أجل المحورية الأوروبية و المركزية العرقية[5].

---

[1] - أ.جآيري، المستشرقون البريطانيون، تر: محمد الدسوقي النوبهي، وليام كوليتر، لندن، 1946م، ص ص8،7.

[2] *كرادي قو (1867م -1953م): مستشرق فرنسي ، تعلم في مدرسة باريس، دخل كلية الهندسة عام 1886م، عين أستاذا في المعهد الكاثوليكي، كان أحد مؤسسي مجلة الشرق المسيحي،نشر دراسات في المجالات التالية: حوليات حول الفلسفة، المجلة الآسيوية، مجلة الكتاب المقدس. عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص362.*

[3] *جولد تسهير (1850م - 1921م): مجري؛ درس في بودابست ثم في برلين عام 1869م، درس الدكتوراه عام 1870م، شرح التوراة؛ عني بالدراسات العربية عامة وبالإسلامية خاصة.عبدالرحمان بدوي، المرجع السابق، ص197.*

[4] - مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين و أثره في الفكر الاسلامي الحديث، ط1. دار الارشاد، بيروت،(1388ه / 1969م)، ص5.

[5] - محمد فتح الله، الترجمات الاستشراقية للقرآن الكريم، دراسة الترجمتين ريجيسبلاشير و جاك بيرك، بمعاني القرآن الكريم إلى الفرنسية، رسالة دكتوراه، (1436/1435ه) (2015/2014م)، ص ص 48،47.

المطلب الثاني: نشأة الاستشراق

يصعب علينا تحديد تاريخ معين لبداية الاستشراق؛حيث يختلف الباحثون في نشأته و بدايته، ربما ذلك بسبب اختلافهم حول مفهوم الاستشراق فلكل باحث كما أظهرت الدراسة تعريف معين؛ يصل إليه من خلال بحثه و دراسته المعبرة عن رأيه، و نورد فيما يلي بعض تلك الآراء:

هناك من قال: أن الإستشراق بدأ في القرن السادس قبل الميلاد، ويراد به زيارة الشرق والسفر إليه و الإطلاع على تقاليده وتاريخه ثم الكتابة عنه بغض النظر عن الجانب الديني أو السياسي أو العلمي، كالمؤرخ اليوناني الإغريقي "هيردوتس"يعتبر أول مستشرق لأنه زار الشرق وكتب عنه في القرن السادس قبل الميلاد[1].

فيما يرى بعض المؤرخين أن فكرة الإستشراق يمكن أن تكون قد بدأت مع بعثة النبي عليه الصلاة والسلام سنة 610م بمكة المكرمة وذلك من خلال الوفود التي بعثها إلى قيصر ملك الروم والتي من خلالها سمع الغربيون عن الدين الجديد و سعوا المعرفة أخباره وكذا وفد الرسول عليه الصلاة و السلام إلى الحبشة الذي فتح آفاق أمام الشهير مع جعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أن هناك من يعتبر التيار الذي ظهر بالمدينة المنورة بزعامة عبد الله بن سبأ اليهودي الذي ادعى أن هناك أفرادا من الصحابة ليس لهم الحق في الخلافة من البوادر الأولى للاستشراق، وكذلك فتوحات النبي عليه الصلاة و السلام بشمال شبه الجزيرة العربية في القرن الثامن كانت حدثا بارزا في لفت انتباه البلاد غير الإسلامية التي سارعت لمجابهة هذا المد عسكريا و فكريا من خلال معرفة كل ما يتعلق به[2]، بينما هناك من رأى بأن غزوة مؤتة التي كانت أول احتكاك عسكريا تعد البدايات للاستشراق[3].

ويذهب البعض الآخر إلى القول بأن البدايات الأولى للاستشراق تزامنت مع الحروب الدموية التي نشبت بين المسلمين والنصارى في الأندلس بعد استيلاء ألفونسو السادس على طليطلة عام 1056م-448هـ، فيما يرى آخرون إلى أن البدايات الأولى للاستشراق تعود إلى القرن الثاني عشر للميلاد حيث كانت أول ترجمة للقرآن إلى اللغة اللاتينية وذلك سنة 538هـ / 1143م، كما عد آخرون حاجة القرب للرد على الإسلام و معرفة أسباب القوة الدافعة لأنائه خاصة بعد سقوط القسطنطينية عام 1453م، حيث وقف الإسلام سدا مانعا لإنتشار النصرانية بداية للإستشراق، ثم إن دافع تعلم العقلية

[1]- شاكر عالم شوق، الاستشراق أخطر تحدا للاسلام، دراسات الجامعة الاسلامية العالمية شيتاغونغ، المجلد الثالث، بنغلاديش، ديسمبر 2006م، ص66.

[2]- سيحاوي أمينة، الاستشراق واسهاماته في كتابة التاريخ العثماني- برنارد لويس أنموذجا، مجلة العبر للدراسات التاريخية و الأثرية، المجلد الثاني، العدد الأول، الجزائر، يناير 2019م، ص297.

[3]- حسين الموسوي القابجي، دور الاستشراق و أثره على الفكر الاسلامي-دراسة تاريخية وصفية، ط2.العراق، 2020م، ص23.

الساحيةكان سببا لدراسة اللغة العربية وآدابها وفهم عادات وتقاليد وأديان الشعوب التي أرادوا استعمارها وهكذا امتدت جهود المستشرقين تنصب لدراسة الإسلام وترجمة القرآن الكريم وكذلك الكتب الأدبية والعلمية حتى جاء القرن الثامن عشر وما بعده، حيث تم للغرب استعمار العالم الإسلامي واستولى على كثير من ممتلكاته التراثية واستحوذوا على المخطوطات ونقلوها إلى مكتبات الغرب، وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام 1873م، ثم توالت مؤتمرات المستشرقين بالانعقاد[1].

في حين؛ هناك من يؤكد أن اللحظة التي ولد فيها الاستشراق هي نفس اللحظة التي فكر فيها الغرب الدفاع عن نفسه وحماية أراضيه من كل دخيل، حيث كانت البداية مع هزيمة عبد الرحمان الغافقي على يد "شارل مارتل" في موقعة بواتيه وهي المعركة المعروفة بـ "بلاط الشهداء" سنة 110هـ/ 737م، وكانت هزيمة المسلمين في هذه المعركة وانتصار الغرب بزعامة فرنسا من المراحل الحاسمة في تاريخ المسلمين، حيث توقفت الفتوحات الإسلامية. لقد أسس شارل ماركل بهذا الإنتصار لفكرة الانتقام من المسلمين فكان من شعارها محاكم التفتيش بالأندلس، حيث تحول الدفاع عن النفس الذي تبناه هو ومن والاه من رجال الدين لفكرة المواجهة مع الإسلام وأهله وتتطور الفكرة لتلد مولودا جديدا سمي "الاستشراق".

يرى آخر بأنه بدأ في القرن الثاني عشري ميلادي، حيث نحت فيه ترجمة القرآن إلى اللاتينية لأول مرة عام 1143م بتوجيه الأب فيزابل وفي هذا القرن أيضا ألقى أول قاموس لاتيني عربي[2].

أما بالنسبة الباحثة أمل الثبيتي أن حركة الإستشراق في بداية ظهورها كانت عبارة عن دراسات فردية قام بها بعض الكتاب، كما أن الأمر مع سلفستر الثاني ثم بعد ذلك تطورت لتصمم دراسة أكاديمية معترفا بها لها وأساتذتها وطلابها بقرار مجمع فيينا الكنسي عام 712هـ / 1312م، كما ظهر مفهوم مستشرق في بريطانيا عام 1193هـ / 1779م ثم أدرج مفهوم الإستشراقorientelism في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1254هـ / 1838م[3].

ويؤكد علي حسني الخربوطلي "أن الإستشراق بدأ في أوروبا نفسها في العصور الوسطى الإسلامية حينما كان العرب المسلمون يحكمون أرجاءا كبيرة في شبه جزيرة إيبيرا (بلاد الأندلس) وفي فرنسا

[1]- فاروق عمر فوزي، الاستشراق و التاريخ الاسلامي-القرون الاسلامية الأولى، ط1. الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، 1998م، ص 30

[2]- اسماعيل علي محمد، مرجع سابق، ص ص15،16

[3]- أمل عبيد عواض لثبيتي، السيرة النبوية في كتابات المستشرقين البريطانيين-دراسة تاريخية نقدية لآراء توماس كارابل، توماس آرنولد، ألفريدجيوم، رسالة ماجستير، السعودية، 1424هـ، ص58.

وايطاليا وصقلية وجزر البحر المتوسط، فقد كانت أوروبا قبل الفتوحات العربية الإسلامية تسبح في دياجير الظلام؛ وقد بددت الحضارة الإسلامية هذه الدياجير الحالكة، وأصبحالعربأساتذة للأوروبيين، وحينما أصبحت هذه الحضارة الشرقية هي أساس حضارة القارة الأوروبية أصبح الأوروبيون حينئذ مستشرقين فقد وجدوا في حضارة العرب ما يناسب احتياجاتهم ويسد الفراغ ما جعلها تناسب الشعوب الأوروبية على اختلاف بلادها وأجناسها وثقافاتها"[1].

في حين يذهب آخر للقول بأن هذا العلم قد نشأ مع النهضة الأوروبية في القرنين السادس عشر والسابع عشر في هولندا وانكلترا وفرنسا، واهتم العلماء في البداية بدراسة اللغات كوسيلة مهمة للاتصال والتواصل بهدف الاستيلاء على البلاد الشرقية[2].

يقول شاكر شوق: " أن بداية الاستشراق كانت في القرن الثامن عشر الميلادي أي بالتحديد بعد الحملة الفرنسية على مصر عام 1798م؛ حين جاء نابليون بونابرت NapoleonBonaperte إلى مصر وحمل معه عددا كبيرا من العلماء، كما حمل معه مطبعة عربية ساعدت هؤلاء العلماء في القيام بأبحاث متعددة و نشرها "[3].

يرى برنارد لويس أن العلماء أخطأوا حينما ظلوا يعتقدون حقبة طويلة من الزمن، أن أول اتصال جدي بين الثقافة الإسلامية وثقافة أوروبا قد حدث نتيجة للحروب الصليبية ثم يؤكد أن حركة الفكر والعلوم العربية وصلت إلى الغرب عامة، وبريطانيا خاصة عن طريق آخر لا عن طريق الحروب المذكورة، ويستند في رأيه هذا على التاريخ و وقائعه، فيذهب إلى أن أوروبا شربت من منهل العلوم العربية التي كانت تتدفق في الأندلس، إذ أسس العرب في اسبانيا و صقلية مدينة زاهدة أرقى كثيرا من أية مدينة معاصرة لها في ذلك الوقت في البلاد المسيحية و هي المدينة التي خلفت آثارا في المدنيات المسيحية المعاصرة لها، حتى أنه بعد أن استعاد المسيحيون سيادتهم على تلك البلاد ظلت العلوم العربية مزدهرة مدة من الزمن، وكان من الملوك المسيحيين من يتكلم العربية و يوازر علماء العرب، و قد شرعت الثقافة العليا للعرب تنفذ إلى بلاد الفرنجة منذ عهد مبكر، فقد كان المسيحيون الذين يتكلمون العربية من أهل اسبانيا يتمتعون بنفوذ قوي، كما أن يهود اسبانيا و صقلية الذين كانوا يتكلمون العربية والذين كانوا يشاركون أهل دينهم من الفرنجة لغة أخرى هي العبرية، قد

[1]- علي حسني الخربوطلي، المستشرقون و التاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1988م، ص ص27،28.

[2]- شاهان سركيسيان، مساهمة علم الاستشراق الانسانية (من خلال الدراسات الأرمينية)، مجلة الأداب الأجنبية، العدد 123، دمشق، صيف 2005،ص ص11،12.

[3]- شاكر عالم شوق، المرجع السابق، ص67.

ساعدوا كذلك مساعدة كبيرة في نشر العلوم العربية في الغرب ولقد نخص بالذكر هنا العالم الفيلسوف الاسباني اليهودي ابراهيم بن عزرا من مدينة طوليدو، الذي زار لندن في سنة 1158م وسنة 1159م، كما نذكر عالما انكليزيا هو توماس برون ThomasBrown الذي كان قاضيا في صقلية والذي ورد ذكره في الوثائق العربية باسم القاضي برون[1].

المطلب الثالث: خصائص الاستشراق

يجدر بنا الآن أن نشير إلى خصائص الاستشراق التي يمكن إيجازها في عدة نقاط منها:

ـ ظهرت البذور الأولى في كنف اليونان القدامى قبل الميلاد بعد قرون وبعده لفترة قصيرة، ويمكن اعتبار هرودوتواسترابون وبلين وغيرهم من رواده الأوائل[2].

ـ ولد في أحضان الأندلس الإسلامية في القرن الثامن الميلادي، حيث كان الإسلام القوة الدافعة له.

ـ عاش قرونا طويلة في كنف الإيديولوجية الكنسية التي كانت ترعاه وتوجهه ولا تزال تقوم بذلك حتى الآن إذ كان مصدرا للأفكار وكانت هي المنفذة لها.

ـ لعب دورا بارزا في بناء نظرية الإيديولوجية الاستعمارية وقام بحركات مريبة تهدف إلى زعزعة الثقة بشعوب البلاد المستعمرة وبدينها وحضارتها وآدابها.مر في تاريخه الطويل بأطوار ثلاثة هي: التكوين، التقديم، الانطلاق

ـ أشهر نشاطه دراسات وبحوث واهتمامات واكتشافات دفعت إلى ضرورة متابعة البحث فيه[3].

ـ كان تاريخه حافلا باتجاهات مختلفة يمكن تقسيمها إلى اتجاهين رئيسيين هما الاتجاه العقدي والاتجاه العملي، وذلك لما فيها من شمول الجدل وموضوعية الدراسة.

ـ بحث في كل ما يتعلق في لغات الشرق وآدابه، واهتم بكل ما فيه من عادات وتقاليد.

اتجاهات وأجناس وقوميات وأفكار.

[1] - برنارد لويس، تاريخ اهتمام الانجليز بالعلوم العربية، ط2. ست مقالات نشرت في المستمع العربي، ص ص4،5.

[2] *احمد سمايلوفتش، المرجع السابق، ص ص 104، 105.*

[3] *يحيى مراد، ردود على شبهات المستشرقين، ص99*

ـ أنشأ جمعيات، أكاديميات وفتح معاهد وكليات ونشر مجالات ومؤلفات وأعد مطابع وعقد مؤتمرات واقترح حلولا وعالج مشكلات وخلق آخر[1].

ـ عقد مؤتمرات عديدة كان أولها في باريس سنة 1873م وتبعته مؤتمرات أخرى من أوائل من حضرها من علماء العرب عبد الله فكري وحمزة فتح الله، وحضر ناصف ومحمد روحي، الخالدي و غيرهم .

ـ قام بتنظيم الكتب العربية التي توجد في مكتبات أوروبا و وضع لها الفهرس وسهل الرجوع إليها.

ـ ساعده في أداء مهمته عوامل عديدة منها معرفة أصحابه أكثر من لغة و مساعدة حكوماتهم لهم أدبيا و ماديا ثم سعة ثقافتهم ومواصلة دراستهم بجد ومثابرة[2].

ـ لعب دورا بارزا في التعريف بالفكر الاسلامي عامة وآدابه خاصة وتقدير منزلهما الفكري العالمي وآدابه؛ كما رسم لنفسه منهجا مستقلا وامتازت دراساته بالتوسع والغزارة وأعطى أصحابه مثالا لما يمكن أن يصل إليه الانسان الدؤوب في عمله وبحثه.

ـ أثار قضايا علمية ومعضلات فلسفية ومشاكل اجتماعية وخلافات قومية مما أدى أحيانا إلى اصطدامات فكرية ومناقشات حامية بين علمائه وعلماء الغرب[3].

المطلب الرابع: أهم المدارس الاستشراقية

1/ المدرسة البريطانية: تتميز المدرسة الانجليزية بالعمق والدقة وهي أكثر المدارس صلة بالشرق وخاصة بالشرقين الأوسط والأقصى، وكانت صلات بريطانيا بالشرق قوية عن طريق الاتصالات الثقافية والسياسية والعسكرية والاقتصادية؛ وكانت المدرسة الانجليزية وثيقة الصلة بمنطقة الخليج والعراق وفلسطين ومصر، بالإضافة إلى صلتها الوثيقة بالهند والإسلام في المنطقة الهندية له تراث عريق ولا يمكن إغفال أهمية تلك البلاد الهندية في إغناء الفكر الإسلامي[4].

ومن الطبيعي أن تتأثر المدرسة الإنجليزية باهتمامات المناطق الجغرافية التي تسيطر عليها وأن توجه اهتمامهمالفهم إسلام كل منطقة ومكوناتها وفكرها وتراثها وقضاياها، ولذلك أخذت الجامعات الإنجليزية الأخرى تنشىء أقساما للدراسات الشرقية، ومعظم الجامعات الإنجليزية اليوم تدرس اللغات

---

[1] نفسه.ص100

[2] أحمد سمايلوفتش، المرجع السابق، ص105

[3] يحيى مراد، المرجع السابق، ص 100

[4] محمد فاروق النبهان، الاستشراق (تعريفه، مدارسه، آثاره)، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، 1433هـ - 2012م . ص26

والدراسات الشرقية. ثم أخذت هذه الجامعات تنشىء مدارس وكليات تابعة لها في إفريقيا والبلاد العربية والإسلامية في الهند وباكستان،كما اهتمت مكتبةالمتحف البريطاني في لندن بالتراث الشرقي وضمت إليها مكتبات بعض القناصل الذين عملوا في القاهرة وبغداد ومسقط ودمشق، وجمعوا الكثير من المقتنيات الشرقية من مخطوطات ووثائق ومصاحف ومعاجم وأوراق البردى وسجلات رسمية، وهناك فهارس للمخطوطات العربية وفهارس للكتب العربية في المتحف البريطاني وضعها بعض الباحثين[1]. من أبرز مستشرقي هذه المدرسة: جب هاملتون، توماس آرلوند، آرنولد توينبي، لويس برنارد.

2/ المدرسة الألمانية:كانت الحروب الصليبية هي المحرك الأهم في علاقات الغرب المسيحي بالعالم العربي الإسلامي، ومن الطبيعي أن ينصرف اهتمام الألمان إلى دراسة اللغات الشرقية بعد أن بدأت هذه الدراسات تحظى باهتمام العلماء في فرنسا وانجلترا، كانت علاقة ألمانيا مع الدولة العثمانية قوية بسبب الروابط والمصالح السياسية والاقتصادية، وكان المستشرقون الأوائل في المدرسة الفرنسية هم وراء المدارس الإستشراقية في أوروبا كلها، ولما شعرت ألمانيا بأهمية الدراسات الشرقية أنشأت في جامعاتها معاهد اللغات الشرقية كما ازداد اهتمامها بالدراسات العربية و لإسلامية وأنشأ فلايشر الجمعية الشرقية الألمانية التي تبنت نشر التراث العربي الإسلامي، وتوثيق صلة ألمانيا بالعالم العربي والإسلامي، ونشرت هذه الجمعية عددا من الكتب العربية، وأسس هارتمان الجمعية الشرقية الألمانية للدراسات الإسلامية التي أصدرت مجلة "عالم الإسلام"[2].كما أصدر المستشرقون عددا من المجلات عن الشرق وتراث الشرق من أبرزها " مجلة الإسلام " التي أصدرت عن معهد اللغات الشرقية في جامعة هامبورغ؛ وتهتم هذه المجلة التي أنشأها المستشرق كارل بيكر، بالتعريف بالتراث العربي والإسلامي وتتميز المدرسة الألمانية بالجدية والعمق والدقة[3].

من أهم المستشرقين الألمان؛ لدينا المستشرق كارل بروكلمان 1868م؛ الذي يعد من أشهر المستشرقين الألمان بسبب كتابه الشهير" تاريخ الأدب العربي"، كما له آثار علمية كثيرة في التاريخ والسيرة والتراجم؛ واللغات الشرقية القديمة، تتلمذ على يد المستشرق نيلدكه، وأخذ عنه اهتمامه بالدراسات العربية[4]. بالإضافة إلى جوزيف شاخت (1902م ـ 1969م)؛ الذي تخرج من الجامعة الألمانية، وعين أستاذا

[1] د. محمد فاروق النبهان، المرجع السابق، ص28.
[2] - نفسه، ص 30.
[3] *أحمد سمايلوفتش، المرجع السابق، ص223*
[4] *عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص 384.*

للدراسات الشرقية فيها، كما انتدب لتدريس فقه اللغة في الجامعة المصرية، وحصل على الدكتوراه في أكسفورد[1].

3/ المدرسة الروسية: لها علاقة وثيقة بالعالم العربي الإسلامي منذ العصر العباسي وتبادل السفارات بين الخلافة و الإمبراطورية، وهذا من جهة ومن جهة أخرى فإن روسيا أو الإتحاد السوفياتي وبحكم ضمه لعدة جمهوريات مسلمة تحت مظلته؛ فقد كانت علاقتها بثقافة وعادات هذه الجمهوريات قائمة على نوع من الاحتكاك والمعرفة التي تتيح لها التعامل معها بما يناسبها دون غيرها[2].

المدرسة الروسية ومميزاتها ومداها الخاص، فاستشراقها لا يخلوا من عمق النظر ورأي صائب دقيق تأليفي وتحليلي في آن واحد، واختارت أن يكون ميدانها العلمي منطقة آسيا الوسطى وما يتعلق بحضارتها القديمة والحديثة، وعلاقتها بالحضارة البيزنطية التي أسهمت في تكوين العقلية الروسية بقدر كبير، ويبدوا أنها وسعت نطاقها في السنوات الأخيرة فأخذت تهتم بكل ما يتعلق بالعالم العربي واتجاهاته الحديثة ومشاكله المعاصرة[3].

ففي الجانب الأكاديمي فلا تكاد تخلوا جامعة روسية اليوم من كراس للغة العربية والتاريخ الإسلامي، ومن أهمها جامعة موسكو المركزية، جامعة قازان التاريخية وجامعة سان بطرسبورغبالطبع فإن هذه المراكز الإستراتيجية قد ساهمت في تخريج عدد لا بأس به من المستشرقين اللامعين الذين حملوا لواء الاستشراق الروسي[4]منهم اغناطيوس كرانشكوفيسكي[5].

4/ المدرسة الفرنسية: وهي من أهم المدارس الإستشراقية خاصة منذ إنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية 1795م والتي ترأسها المستشرق الفرنسي المشهور سلفستر دي بيلي 1758-1838م، فبدأت بوادر الاتصال الثقافي بين فرنسا والشرق الإسلامي في مدارس الأندلس وصقلية، حيث كانت الأندلس قبلة للطلاب من الفاتيكان و البلاد الأوروبية عامة[6].

---

[1] *نفسه، ص 243*

[2] - يوهان فوك، تاريخ حركة الإستشراق للدراسات العربية و الإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين،تر: عمر لطفي العالم، ط1. دار قتيبة، بيروت،(1417ه/1996م)، ص138.

[3] *- أحمد سمايلوفيتش،المرجعالسابق، ص 223.*

[4] *يوهان فوك، المرجع السابق، ص130*

[5] اغناطيوس كرانشكوفيسكي (1883م ـ 1951م) : رائد الاستشراق الروسي المعاصر وحامل لوائه، درس اللغات اليونانية واللاتينية ثم اعتمد على نفسه في دراسة العربية،التحق سنة 1901م بكلية الدراسات الشرقية بسان بطرسبورغ ودرس فيها اللغات التركية والفارسية والعبرية .عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص468.

[6] - أحمد نصري، أداء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم، ط1. دار القلم للطباعة و النشر و التوزيع، الرباط، المغرب، 2009م،ص23,

تتميز هذه المدرسة بالوضوح في الإفصاح والجلاء في التعبير والدقة في البحث، وصاحبها يحاول على الدوام أن يعطيك عن الموضوع الذي يبحث فيه أصدق صورة وأتمها مجلوة بعبارة ناصعة واضحة لايواجهها لبس أو غموض، وتركز اهتمامها على حضارات الشرق المختلفة عامة وحضارة الهلال الخصيب خاصة، ثم افريقيا الشمالية كلها والدول الإسلامية كذلك[1].

فقد نشأت صلات فرنسا بالشرق الأدنى منذ غزو الغرب مقاطعات منها؛ وقيام الحروب الصليبية وإنشاء طرق للتجارة وتبادل السفراء وتوالي الرحلات وحملة نابليون على مصر، وفتح قناة السويس والانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان، ولقد كانت تلك الصلات متعددة متنوعة متعاقبة اختلطت فيها الحروب والسلم والتجارة والثقافة جميعا، بذلك يمكن القول أن الاستشراق كان وليدا للاجتياح العسكري[2]. ومن أشهر روادها: جربي ردي أورلياك (930م . 1003م) والذي يتفق أغلب الباحثين في تاريخ الاستشراق على أنه أقدم من مثل الاستشراق المعروف حاليا وهو بذلك عميد المستشرقين عامة والفرنسيين خاصة[3].

المطلب الخامس: مناهج المستشرقين و دوافعهم

إن منهجية المستشرقين مهمة بالنسبة للتاريخ الإسلامي؛ إذ أنها تمس موضوعا دقيقا هو طبيعته وجوهره، ومن ثم فقد أثرت على الطريقة التي كون المسلمون بها صورة لأنفسهم في سياق تاريخهم، والسؤال الذي يثير حساسية أكبر هو كيف حاول المستشرقون أن يؤثروا على مجرى التطورات في العالم الإسلامي عن طريق تطوير موضوعات ونظريات وفروض عديدة تتصل بالتاريخ الإسلامي؛ التي برغم احتفاظها بالمظهر الأكاديمي تخفي في كثير من الأحيان دوافع و أهداف كامنة ترجع إلى الهيمنة على العالم الإسلامي والشرق بعامة عن طريق الاعتماد القوي على النشاطات التبشيرية والإستعمارية و الإمبريالية[4].

من الصعب أن تجمع المستشرقين كلهم في بوقة واحدة، ونزعم أن منهجهم كان واحدا في كل الأزمات والأوقات وفي كل الموضوعات التي تطرقوا إليها، ولكن تسهيلا لهذا الأمر يمكن إجمال هذه المناهج التي يشترك فيها عدد كبير من المستشرقين قديما وحديثا في تناول العلوم الإسلامية عموما.

---

[1]- أحمد سمايلوفيتش، المرجع السابق، ص222.

[2]- نجيبالعقيقي، المستشرقون، ج1. ط 2. دار المعارف، القاهرة، 2006م، ص238.

[3] *عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص 138*

[4]- محمد بن عبود، مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية، ج1. المنظمة العربية للتربية و الثقافة و التعليم، إدارة الثقافة، تونس، 1985م، ص34.

الاستنباط المعرفي والعلمي بما يخدمهم في جميع الميادين لغة وفلسفة وفكرا وقانونا، ومن كل الحضارات الشرقية، والقيام بدراسات علمية لمعرفة الشعوب الأخرى ومعرفة مواطن قوتها وضعفها، لهجاتها، اتفاقاتهاواختلافاتها، تركيبتها الاجتماعية والدينية والعرقية والجهوية، وتستغل هذه المعلومات وقت الحاجة خاصة لبث الفرقة والحروب الأهلية، من باب فرق تسد أو تستعمل وقت حروبهم معنا أو غيرها[1].

اعتمادهم على المصادر الضعيفة الواهية المنكرة ككتاب الأغاني وغيره، وتقصدهم في تصيد الآراء الشاذة والروايات الضعيفة وتركهم الآراء المجمع عليها أو الغالبة.

إظهار الحركات الهدامة وإبرازها بأنها تمثل حركة الحرية والديمقراطية كالباطنية والقرامطة والبرامكة والبهائية والقاديانية وغيرها، ومحاولة تفسير الأحداث التاريخية تفسيرا ماديا بعيدا عن النزعة الروحية المخلصة لله التي يتسم بها قادة العرب و المسلمين في الفتح الإسلامي[2]

استعمالهم طريقة التمويه وبتر الرواية والأخذ منها ما يفيدهم[3]، وفي هذا يقول أحدهم: "وربما عرض المستشرقون الواقع الإسلامي في صورته التي يعرفها المسلمون ثم يسلطون على هذه الصورةفي حرص وحذر سحبا رقيقة ماكرة لا تكاد ترى، تحمل في طياتها ألوانا معتمة تتكاثف شيئا فشيئا حتى تطمس معالم الحقيقة دون أن ينتبه لذلك أحد؛ إلا بعد أن يقضى الأمر وتفوح رائحة الكذب والافتراء"[4].

العمل على إبراز أحداث النزاع في التاريخ الإسلامي وترك الفترة التاريخية الحضارية المشرقة من أجل أن يؤكدوا على فرية يفترونها في أن التاريخ الإسلامي لم يكن إلا أحداث نزاع وقتل وتنافس على السلطة، ويريدون بذلك أن يوحوا إلى الشرق الإسلامي أن المسلمين لا يمثلون وحدة الكفاح ضد الكفر والاستعمار؛ وأنهم فرق مختلفة ولا تجمعهم عقيدة التوحيد ولا يحتلون أمة موحدة عبر التاريخ ولا يمكن أن يعيدوا الدور الذي بدأه الأجداد العظام[5].

التشكيك في الديانات الأخرى والثقافات المتعددة للنيل منها، وهنا يستخدمون منهجين: منهج حيادي هكذا يقال؛ فيحققون الكتب ويدسون فيها ما يدسون ويحذفون منها ما يحذفون تحريفا و

[1]- عبد الحليم ريوقي، المرجع السابق، ص ص82،83.

[2] *عبد القهارالعاني، الاستشراق والدراسات الاستشراقية، ط1. دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، 1421هـ. 2001م، ص130*

[3]-عبد القهار العاني، المرجع السابق،ص130.

[4]- عبد المتعال محمد الجابري، الإستشراق وجه الاستعمار الفكري، ط1. مكتبة وهبة، مصر، 1416هـ / 1995م، ص237.

[5]- عبد القهار العاني، المرجع السابق، ص131.

بهتانا باعتماد المنهج العلمي والموضوعية بالإيهام وليس حقيقة، وأدلة دامغة وحجج يقولون بها أقوالهم ولا يكتشفها ولا يقف عليها إلا خبير وقارىء حقيقي، منهج مباشر بالطعن في الديانات و الثقافات وتبيان الخلل والتعارض والتناقض فيها على حسب زعمهم، لصرف الناس عن دينهم خاصة نحن المسلمين فهم يعلمون أن مصدر قوتنا هو ديننا ولا عز لنا إلا بالإسلام فيزرعون التبشير المسيحي بكل الطرق والمناهج، ويشككون في عقيدتنا وديننا ورسولنا، بنشر الكتب والمجلات، وقالوا أن الدين الإسلامي منسوخ من ديانات سابقة وأن الرسول عليه الصلاة والسلام نظر في التوراة والإنجيل وأخذ منهجا، وأن الدين الإسلامي دين استعباد وجهل وقتل والقرآن متناقض فسبحان الله عما يفترون[1].

و أماالدوافع الحقيقية للإستشراق فهي كما ما يلي:

1- الدافع الاستعماري: لقد استطاع الاستعمار أن يجند طائفة كبيرة من المستشرقين لخدمة أغراضه و تحقيق أهدافه في البلاد المستعمرة، كما عملالاستعمار عمل على تعزيز موقف الاستشراق وهكذا أنشأت رابطة وثيقة بين الإستشراقوالإستعمار وعمل بعض المستشرقين كمستشارين لوزارات خارجية دولهم وكقناصل وتجسسوا على المسلمين[2].بهدف إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين، وبث الوهن والارتباك في تفكيرهم، وكان لهم في ذلك وساوس تسللو بها إلى نفوس أبناء المسلمين ومن بينها:

التشكيك بفائدة ما في أيدي المسلمين من تراث، وبما عندهم من عقيدة وشريعة وقيم إنسانيةوالغرض من ذلك أن يفقدوا ثقتهم بأنفسهم ويرتموا في أحضان الغرب، ويستجدون منه المقاييس الأخلاقية والمبادىء والعقائد والعادات والتقاليد ليتم للغرب بذلك إخضاع المسلمين لحضارته وثقافته إخضاعا كاملا.

إحياء مفاهيم جاهلية ماتت منذ تمكن الإسلام من قلوب المسلمين، كالقوميات الفرعونية والفينيقية والآشورية والعربية والكردية والتركية، ليتسنى لهم تشتيت شمل الأمة الإسلامية والاستشراق الذي يقوم به الشيوعيون دافع مشابه وهو دافع يطمح بالتسلط الكامل على بلاء المسلمين طمعا باستغلال الأرض واستعباد الناس والسيطرة على كل شيء، وسيلة لتحقيق أهواء النفوس و شهواتها[3].

[1]- عبد الحليم ريوقي، المرجع السابق، ص83.

[2]- سعد آل حميد، أهداف الإستشراق و وسائله، جامعة الملك سعود، قسم الثقافة الإسلامية، ص7.

[3]- عبد الرحمان حسن حنبكةالميداني، أجنحة المكر الثلاثة و خوافيها، ط8. دار القلم، دمشق، 2000م، ص ص130،129.

قبل الاستعمار وبعد تحرر البلاد الإسلامية منه رأت الدوائر الاستعمارية أن حاجتها السياسية تقضي بأن يكون لها في قنصلياتها وسفاراتها و مندوبيها في الأمم المتحدة وسائر المؤسسات الدولية، ومن لديهم زاد جيد من الدراسات الاستشراقية ليقوم لهم هؤلاء بمهمات سياسية متعددة مرتبطة بالشعوب الإسلامية، وبلدان العالم الإسلامي ومنها ما يلي:

- الاتصال بسياسيين والتفاوض معهم لمعرفة آرائهم و اتجاهاتهم.

- الاتصال برجال الفكر والصحافة للتعرف على أفكارهم وواقع بلادهم.

- بث الاتجاهات السياسية التي تريدها دولهم فيمن يريدون بثها فيهم، وإقناعهم بها و هدف هذا الدافع هو تحقيق غايات سياسية تريد تحقيقها الدول المواجهة لهذا النوع من الدراسات لتسيير دول العالم الإسلامي في أفلاكها[1].

كما أنه يهدف هذا الدافع إلى إضعاف روح الإخاء للمسلمين، والعمل على فرقتهم لإحكام السيطرة عليهم والعناية باللهجات العامية، ودراسة العادات السائدة، كما عنوا بالدين والشريعة[2].

2. **الدافع الديني أو التبشيري:** اتخذ اتجاهات متعددة وهي:

- محاربة الإسلام والبحث عن نقاط الضعف فيه وإبرازها والزعم بأنه دين مأخوذ من المسيحية واليهودية والانتقاص من قيمه والحط من قدر نبيه صلى الله عليه و سلم.

- حماية المسيحيين من فطره بحجب حقائقه عنهم وإطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة وتحذيرهم من خطر الإستسلام لهذا الدين.

- التبشير وتنصير المسلمين.[3]

كما يرى بعض المستشرقين أن الهدف الديني للإستشراق هو:

- العمل على تشويه محاسن الإسلام والطعن في القرآن والتاريخ الإسلامي .
- عرقلة تيار التحول من المسيحية إلى الإسلام.

[1]- عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، المرجع السابق، ص131.

[2]- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط ١، دار المعارف، القاهرة، 1417هـ. 1997م ،ص78.

[3]- نفسه، ص76.

- حجب محاسن الإسلام عن الأمم والشعوب وخاصة النصرانية[1].
- إخراج المسلمين عن دينهم، فإذا أمكن تنصيرهم أو إبقائهم لا دين لهم مطلقا.
- نبش الحضارات القديمة وإحياء معارفنا وبعث الطوائف الضالة والحركات الهدامة القديمة.
- تزيين ما في المسيحية من تعاليم وأحكام.

وقد اتسمت دراستهم لتحقيق الدافع الديني بالتعصب ضد الإسلام ومبادئه وعقيدته وعبادته وقرآنه ونبيه عليه الصلاة و السلام وسنته وسيرته وعلومه وحضارته ضد أهله المسلمين[2].

2- الدافع الاقتصادي:عندما بدأت أوروبا نهضتها العلمية والصناعية والحضارية؛ كانت بحاجة إلى المواد الأولية والخام لتغذية مصانعها، وعندما كانوا في حاجة إلى الأسواق التجارية لتصريف بضاعتهم كان لا بد أن يتعرفوا إلى البلاد التي تملك الثروات الطبيعية[3]، والتي من الممكن أن تشكل أسواقا مفتوحة لمنتجاتهم وهذا ما وجدته في الشرق الإسلاميوالدول الإفريقية و الآسيوية، فلجأت الدوائر الحكومية ومؤسسات الاستثمار الأجنبي والاعتماد على المستشرقين بالبلدان المعنية من أجل:

- الاستطلاع على إمكانية استغلال الثروات الباطنية والبشرية فيها.

- تنفيذ مشاريعهم الاقتصادية المختلفة والعمل كوسطاء ومستشارين ومترجمين ومنقبين مقابل رواتب مغرية[4].

كما كانوا يهدفون إلى الاستيلاء على الأسواق التجارية والمؤسسات المالية المختلفة واستغلال الموارد الطبيعية والحصول عليها بأبخس الأثمان، و القضاء على الصناعات المحلية القديمة لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تصدره المصانعالغربية[5]. فاتجه فريق من الغربيون لهذه الدراسات الإستشراقية طمعا بأن يجدوا أعمالا لهم لدى المؤسسات الاقتصادية؛ وهكذا صارت الدراسات الإستشراقية وسيلة من وسائل كسب المال الكثير من المستشرقين.

[1]- حسين القابجي، المرجع السابق،صص37،39.

[2]- على توفيق الحمد، نحن و المستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المستشرق دوزي في المعجمة العربية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد 15، 2001م، ص6.

[3]- إدوارد سعيد، تعقيبات على الإستشراق، تر: صبحي حديده، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1986م، ص23.

[4]- عبد الله محمد الأمين النعيم، الإستشراق في السيرة النبوية، ط1. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الرسائل الجامعية، 1997م، ص21.

[5]- عبد الرحمان حسن حنبكةالميداني، المرجع السابق، ص130.

3- الدافع العلمي :

لقد أقبل القليل من المستشرقين على الدراسات الاستشراقية بدافع حب الإطلاع على حضارات الأمم وأديانها و ثقافاتها و لغاتها، وكان هؤلاء المستشرقين أقل خطأ من غيرهم في فهم الإسلام وتراثه لأنهم لم يكونوا يعتمدون الدس والتحريف[1]،لذلك جاءت بحوثهم أقرب إلى الحث وإلى المنهج العلمي السليم، من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين بل منهم من اهتدى بدراسة الإسلام وآمن به وانتمى إلى الأمة الإسلامية، وكثيرا ما يتعرض هؤلاء لمضايقات ومقاومات شديدة من قبل رجال الدين ورجال السياسة في بلدانهم؛ وذلك من أجل:

تحصيل معرفة صحيحة تتصل بأمة ذات علم وحضارة أصلية، ومن هؤلاء المستشرقين من يؤدي به البحث الخالص لوجه الحق على اعتناق الإسلام والدفاع عنه في أوساط أقوامهم الغربيينفمنهم "ناصر الدين دينيه" الذي ألف مع عالم جزائري كتابا عن سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، و أيضا "عبد الكريم جرمانوس" وهو عالم مجري اعتنق الإسلام في الهند وألف أكثر من 150 كتاب عن الإسلام – الله أكبر. الحركات الحديثة في الإسلام[2].

إضافة إلى هذه الفئة القليلة من المستشرقين هناك جمهرة غالبة من المستشرقين الذين كان دافعهم العلمي من الاستشراق هو:

- وضع النصوص في غير مواضعها و تحميلها مالا تطيقه ألفاظها ولا تدل عليه معانيها.
- تحريف النصوص الإسلامية تحريفا إسلاميا مقصودا كما فعل (جولد تسهير) في زعمه أن قراءة القرآن على سبعة أحرف هي قراءة عمر بن الخطاب.
- إغفال الحقائق التي تخالف استنتاجاتهم على الرغم من الإطلاع عليها.
- احتقار الحضارة الإسلامية[3].

[1]- سعد آل حميد، المرجع السابق، ص51.

[2]- عبد الرحمان حسن حنبكةالمبداني، المرجع السابق، ص133.

[3]- سامي محمود الحاج جاسم، الإستشراق دراسة تاريخية، الجامعة المستنصرية، ص6.

المبحث الثاني

مدرسة الاستشراق البريطانية ـــ توجهاتها وأثرها ـــ

المطلب الأول: بداية الاستشراق البريطاني

المطلب الثاني: رواد مدرسة الاستشراق البريطانية

المطلب الثالث: وسائل المدرسة البريطانية

المطلب الرابع: التراث الإسلامي والمدرسة البريطانية للاستشراق

المطلب الخامس: عوامل إزدهار الدراسات الشرقية في بريطانيا.

تمهـــيد

تعد المدرسة البريطانية للاستشراق من أوائل المدارس الاستشراقية التي عنيت بدراسة الشرق في وقت مبكر، وذلك عندما أسس السير " توماز أدمز" كرسي الدراسات العربية في كمبردج عام 1632 موقد أسس كرسيا آخر في أكسفورد عام 1636 م[1]، وقام أستاذة كبار بالتدريس فيها ، وأقبل الطلبة ينتهلون من علومها بلهفة، وكان أول كتاب طبع في انجلترا هو " كلمات الفلاسفة وحكمهم "، وهو كتاب نسق على أسلوب عربي محاكاة لكتاب،" مختار الحكم ومحاسن الكلام" لمبشر بن فاتك المصري (445/1053 هـ)[2].

استمر الاهتمام بالدراسات الشرقية في بريطانيا حتى ازدهرت مع مطلع القرن السابع عشر والثامن عشر للميلاد ، فمنذ منتصف القرن السابع عشر للميلاد ، بدأ اهتمام الجامعات البريطانية وخاصة كمبرمج وأكسفورد بالتاريخ الإسلامي وخصصت لذلك أموال لتغطية نفقات التدريس في هذه الجامعات وكان الهدف الأول من هذا التوجه هو هدف ديني يتعلق بدراسة العهدين القديم والجديد وخاصة ما مدون منهما باللغة العربية وتطور الأمر بعد ذلك إلى تخريج مبشرين نصارى يعرفون اللغة العربية والدين الإسلامي وتاريخ المسلمين وذلك من اجل التواصل مع المجتمعات العربية ومحاولة الحوار مع أبنائها بلغتهم ومن خلال معرفة أديانهم ومذاهبهم وحضاراتهم ، مما دفع بالحكومة البريطانية لتأسيس مدرسة الدراسات الشرقية ودعمها لها [3].

وفي مطلع القرن الثامن عشر ازدهر الاستشراق متأثرا بعوامل عديدة من أشهرها إنشاء كرسيين جديدين للعربية في جامعتي أكسفورد وكامبريدج ، والتوسع الانجليزي ، إذ عدّ السير ويليام جونز إماما للدراسات الهندية في أوروبا يوم ذلك [4].

ومما ساعد على نمو وازدهار الدراسات الإستشراقية في المدرسة البريطانية هو تكوين الجمعيات والمجلات المتخصصة[5] ،فكانت المدرسة البريطانية الإستشراق قائمة بحد ذاتها ومنفتحة على جميع الميادين مواجهة في ذلك كل الصعوبات والمتطلبات الفكرية المناهضة للفكر العلمي الحر.

[1]. ميشيل جحا، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1982 م، ص33.
[2]. سهيل قاشا، الاستشراق، ج2. سلسلة كتب الثقافة المقارنة، بغداد، 1987م، ص17.
[3]. انتصار شاكر، مجلة دراسات التاريخية والحضارية، جامعة تكريت النشر المباشر ،2019، ص 289.
[4]. مازن صلاح المطباقي،الإستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، عالم الأفكار، 2016م ، ص29
[5]. مهيل قاشا ، المرجع السابق ، ص20

المطلب الأول: بداية الاستشراق البريطاني

يعتبر الاستشراق البريطاني من أبرز ما عرفه الغرب الأوروبي من الاستشراق منذ اتصال بريطانيا بالشرقين الأوسط والأقصى[1]، وتسير بعض المراجع إلى أن أول اتصال بين بريطانيا والشرق يعود إلى علاقات ايرلندا بالشرق من منتصف القرن الثالث ميلادي حيث ذهب بعض الرحالة الرهبان إلى مصر وسوريا وفلسطين في طريقهم إلى الأراضي المقدسة ، إلا أنه لم تظهر أي دراسات للبريطانيين عن الشرق إلافي حوالي نهاية القرن الأول للهجرة على يد ويلبلادwilibald الذي دون كتاب حول رحلته إلى البلاد العربية[2]. ثم أخذت هذه الصلة في الازدياد لأهداف ثقافية وعسكرية واقتصاديةواستعمارية في الأندلس والقدس والهند والصين والعراق ومصر وفلسطين، وفي أثناء ذلك اتخذ طابعه العلمي الخاص عندما توفرت للمستشرفين أسبابه ، وتنوعت أغراضه ،وانقطعوا إليه وأخلصوا فيه.

يرجع بعض الباحثين بداية الاستشراق البريطاني إلى ما قبل الحروب الصليبية حيث توجه نفر من الإنجليز إلى الأندلس للدراسة في جامعتها ومدارسها ومن هؤلاء أديلاردأوف باث[3]، وروبرت أوف تنتشر ولكن هذه البداية المبكرة لم تؤلف تيارا يمكن أن ينطلق عليه حركة استشرافية ،وحتى عندما تدخلت الكنيسة في روما لتشجيع هذا النشاط العلمي بأمر البابا كليمنص الخامس بإنشاء كراسي للغة العربية في عدد من المدن الأوروبية في مجتمع فيينا (1311، 1312) ،فقط بينت هذه القرارات الرسمية دون مفعول حتى تهيأ لها الجو المناسب بالاستعداد الكافي لدى الأمم[4].

ولذلك فقد اغلب على هذا الاهتمام العلمي الطابع الفردي والارتباط الكنسي ولم تؤلف حركة علمية قوية، واستمرار هذا الوضع حتى بداية القرن السابع عشر ميلادي الذي يعدده بعض الباحثين البداية الحقيقية للدراسات الاستشراقية في انجلترا ،وذلك بإنشاء كراسي للغة العربية في الجامعات البريطانية الكبرى ،فقد تأسس كرسي اللغة العربية في جامعية كمبردج cambridgeسنة 1632 وفي جامعة أكسفورد سنة 1636[5]، وهنا ازداد عدد المشرقين [6]، فقام أساتذة كبار بالتدريس فيها، وأقبل الطلبة ينهلون من علومها بلهفة، وكان أول كتاب طبع في انجلترا هو "كلمات الفلاسفة وحكمهم"

---

[1]. نجيب العقيقي ،المستشرقون،ج2. ط 4. دار المعارف، القاهرة، ص7

[2]محمد فتح الله الزيادي ، الإستشراق أهدافه ووسائله، ط1،دارقتية ،1998م، ص27.

[3]. أدلارد أوف باث (1070-1135) ولد في باث ونسب إليها وانخرط في سلك الرهبانية البندكية ، وطلب العلم نور فرنسا والأندلس وصقلية وعند عودته إلى بلاده بريطانيا عين معلما للأمير هنري الذي أصبح الملك هنري الثاني واشتهر باختياره سرعة الصوت والضوء ، له العديد من الترجمات اللاتينية في الفلك والرياضيات، ينظر: نجيب العقيقي ، المستشرقون، ج1، المرجعالسابق، ص 112.

[4]. مازن بن صلاح مطبقاني ، المرجع السابق ، ص 27.

[5]. نفسه، ص 27.

[6] سعد جهاد، صهينة الغرب وتتريك العالم الإسلامي، ط1. المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، 1439هـ.2018م، ص 9،7

واستمر الاهتمام بالدراسات الشرقية في بريطانيا حتى ازدهرت مع مطلع القرن السابع عشر والثامن عشر للميلاد[1].

إن المتتبع لمسيرة الاستشراق البريطاني يجدأنها قد عاشت انعطافا خطيرا مع أواخر القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين تمثل بالسعي لبلورة منظور جديد لفهم الشرق والإسلام بعيدا عن الأنماط الذهنية الغربية السائدة، ومبعث ذلك الأدوار الجديدة التي حتم على بريطانيا أن تلعبها مع تنامي مصالحها الاستعمارية ، وتوسع وجودها في قارتي اسيا وافريقيا ، وانعكاس هذه الأدوار على النشاط الاستشراقي الذي هو نتاج تلك الأدوار بقدر كونه مفعلا ومحددا لها إلى حد كبير[2].

المطلب **الثاني: رواد مدرسة الاستشراق البريطانية**

1/توماس آرنولد[3] Thomas Arnold

ولد في devenport(انجلترا) في 19 أبريل سنة 1864 ، وتعلم أولا في مدرسة بلايموثplymouth الثانوية ،ومن ثم انتقل في سنة 1880 للدراسة في " مدرسة مدينة لندن " cityoflobdon" ثم التحق بكلية المجدلية في جامعة كامبردج في سنة 1882 م، حيث اجتذبته الدراسات الشرقية تحت تأثير إدوردبيلس كورل Ed. bylescouzell ووليم روبرتسون williamrobertsensmith وبعد أن أنجز بنجاح دراسته في الكلاسيكيات أمضى السنة الرابعة في كمبردج أيضا متوفرا على دراسة تاريخ الإسلام[4].أظهر حبه للغات فتعلم العربية وانتقل للعمل باحثا في جامعة علي كرا (عليكرا) في الهند حيث أمضى هناك عشر سنوات ألف خلالها كتابه المشهور (الدعوة إلى الإسلام)[5].

وهي فترة كانت ذات تأثير بالغ في تشكيل نظرات توماس أرنولد للإسلام، وإن كلية عليكرا؛ وهي جامعة إسلامية كبيرة في الهند . قد أسسها سيد أحمد خان بهدف إصلاح الإسلام عن طريق الجمع بين الثقافة الإسلامية والفكر العلمي المنهجي في أوروبا، وشارك أرنولد في هذه التجربة التوفيقية بين الإسلام والفكر الأوروبي الحديث بحماسة شديدة؛ وراح يكون تلاميذ من الانجليز والهنود مشبعين بهذا الاتجاه ، وفي سبيل ذلك راح يلبس الملابس الإسلامية المعتادة لدى المسلمين الهنود وألف داخل كلية "

[1]. نجيب العقيقي ،ج2 . المرجع السابق ص 38.،نولد أربري ، مرجع سابق ، ص ص13، 14.

[2]. ناصر عبد الرزاق الملا جاسم ، المستشرقون توماس أرنولد والتحول في الدراسات الإستشراقية كتاب الدعوة إلى الإسلام ، مجلة الفراهدي ، العدد (17) كانون الأول 2013م، ص21.

[3] *انظر الصورة (أ)، الملحق رقم1، ص 80*

[4]. عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص9.

[5]. حسين الموسوي القابجي ، المرجع السابق، ص 153.

عليكرا" ، جمعية تدعى " أنجمن الفرض " (أي جمعية الواجب)وصار أعضائها يهدفون إلى تجديد الإسلام على الأساس المذكور أي الجمع بين لثقافة الإسلامية والفكر الأوروبي الحديث ، وفي سنة 1898 عين أستاذا للفلسفة في الكلية الحكومية في مدينة لاهور، وقد صارت فيما بعد : جامعة لاهور وكان أبرز من تتلمذوا عليه في هذه الكلية هو الشاعر العظيم محمد إقبال اللاهوري صاحب فكرة إنشاء دولة مستقلة للمسلمين الهنود باسم : باكستان وهي دولة باكستان التي أسست في 15 أغسطس سنة 1947 بعد إعلان استقلال الهند مقسمة إلى دولتين : الهند وباكستان[1] .

في عام 1904 م عاد إلى لندن ليصبح أمينا مساعدا بمكتبة إدارة الحكومة الهندية التابعة لوزارة الخارجية البريطانية، وعمل في الوقت نفسه أستاذا غير متفرغ في جامعة لندن، واختير عام 1909 ليكون مشرفا عاما على الطلاب الهنود في بريطانيا، ومن المهام العلمية التي شارك فيها عضوية هيئة تحرير الموسوعة الإسلامية التي صدرت في ليدن بهولندا في طبعت الأولى، والتحق بمدرسة الدراسات الشقية والإفريقية بجامعة لندن بعد تأسيسها عام 1916، عمل أستاذا زائرا في الجامعة المصرية عام 1930 م [2]، وكان معجبا بالإسلام متضلعا في علومه، منصفا له في أبحاثه عنه، فلم تعد عليه هفوة واحدة على ما كتبه عنه في دائرة المصارف الإسلامية، وحقق من المصنف فيه، وهو مقترح وضع مصنف في تراثه ومرسي أسسه، فعّد مرجعا في الدراسات الإسلامية [3].

وفي السنوات الأخيرة من حياته منح ألقابا تشريفية كثيرة منها : زميل شرفي لكلية المجدلية في كمبردج سنة 1917 م، و الدكتوراه الفخرية من جامعة براج (تشيكو سلوفاكيا) كما انتخب عضوا في الأكاديمية البريطانية؛ وهي أعلى هيئة علمية في بريطانيا وذلك في سنة1926 م كان لاشتغال أرنولد بالأعمال الإدارية أثر في قلة إنتاجه العلمي ، حتى إن كتابه " الدعوة الإسلامية " ظل حتى سنة 1920م ،أي وهو في السادسة والخمسين من عمره؛ الإنتاج العلمي الوحيد القيمة، وقد أعيد طبعه في سنة 1913 م في طبعه موسعة ومنقحة وترجم إلى اللغتين الأوربية والتركية، كما ترجم في الأربعينيات إلى اللغة العربية.

وألف وهو لا يزال في الهند كتيب صغيرا عن " المعتزلة سنة 1902 themuthazilah ليس بذي قيمة علمية تذكر وبمناسبة زوال الخلافة في سنة 1924 ، ألف توماس أرنولد كتابا بعنوان " الخلافة

[1]. عبد الرحمان بدوي ، المرجع السابق، ص9.
[2]. حسين الموسوي القابجي، المرجع السابق ، ص 153.
[3]. نجيب العقيقي، المرجع السابق،ج2 ،ص 84.

thecaliphate تتبع فيه تاريخ منصب الخلافة في الإسلام منذ الخلفاء الراشدين حتى إلغاء الخلافة سنة 1924 م على يد كمال أتاتورك [1]، وكتاب رسامو القصر في عصر المغول العظيم (لندن 1347 هـ /1928 م) والكتاب الإسلامي (1348 هـ / 1929 م) وبيهزاد ورسومه في مخطوط فار (1329 هـ / 1930 م) و التاله والطريق في الفن الإسلامي (1351 هـ / 1932 م) ، ويذكر أن لورنس بنيون الشاعر والرسام L. binyon كان يساعده فيما كتبه عن الفن والرسم في الإسلام ، كما قام أرنولد بفهرسة المنمنمات الهندية، ومن كتبه أيضا تراث الإسلام الذي تم بمعادلة ألفرد جيوم و آربري (لندن 1343 هـ / 1913 م) وقد نشر هذا الكتاب بالعربية والفرنسة والاسبانية [2].

ولسير توماس أرلوند من الدراسات: الهندوسية والإسلام في الهند (مؤتمر تاريخ الأديان 1908 م)، والمخطوطات العربية والفارسية في أمانة حكومة الهند (صحيفة الفن الهندية 1913 م) وعيسى مريم في الفن الديني الإسلامي (لمؤتمر تاريخ الأديان 1929 م) وغيرها[3]، وقد ساهم توماس أرلوند في تحرير دائرة المعارف الإسلامية على الإسلام والمسلمين [4].

2/ جيب هاملتون ألكسندر (1895 م / 1971 م)Hamilton alescanderRuskeen Gibb .[5]

ولدهاملتون جيب في الإسكندرية في 1895/01/02 م، ثم انتقل إلى اسكتلندا وهوفي الخامسة من عمره للدراسة هناك، ولكنه كان يمضي الصيف مع والدته في الإسكندرية [6]، في 1912 م دخل جامعة أدنبرة حيث تخصص في اللغات السامية : العربية والعبرية والآرامية ومن 1914 م إلى 1918 م كان جنديا في مدفعية الميدان الملكية وخاض الحرب في جبهتي فرنسا وايطاليا، وبعد انتهاء الحرب صار طالبا باحث في مدرسة اللغات الشرقية في لندن وفي 192 م حصل على درجة الماجستير MA من جامعة لندن وكان قد عين في 1921 مدرسا lecture للغة العربية وفي عام 1926 م .1927 م زار الشرق زيارة طويلة؛ وبدأ أثناءها دراسة الأدب العربي المعاصر، وقد سبق له أن أمضى إجازتين طويلتين في الشمال الإفريقي [7].

[1]. عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق ، ص 10.
[2] أمل الثبيتي ، المرجع سابق، ص ص 61.62.
[3]. نجيب العقيقي، المرجع سابق،ج2. ص154.
[4]. أمل الثبيتي، المرجع السابق، ص 62.
[5] *انظر الصورة (ب)، الملحق رقم 1، ص 80.*
[6]. حسن القابجي، المرجع السابق، ص154
[7]. عبد الحميد صالح حمدان ، طبقات المستشرقين، ص 143

وفي سنة 1929 م عين بلقب (أستاذ) في تاريخ العرب والأدب العربي في جامعة لندن، وكما توفي سيرتوماس آرنولد في سنة 1930 م خلفه على كرسي اللغة العربية في جامعة لندن،وخلفه كذلك كمحرر لدائرة المعارف الإسلامية، واستمر في كرسيه بجامعة لندن حتى سنة 1937 م حيث صار أستاذا للغة العربية في جامعة أكسفورد؛ ومن ثم زميلا في كليات سانت بون بأكسفورد؛ وبقي في هذا المنصب حتى سنة 1955 م انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليعمل مديرا لمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفرد بعد أن عمل أستاذا للغة العربية في الجامعة، بالإضافة إلى اهتمامه اللغوي فقد أضاف إلى ذلك الاهتمام بتاريخ الإسلام وانتشاره وقد تأثر بمستشرقين كبار من أمثال توماس آرنولد وغيره[1].

وصفه أحد الباحثين (بأنه نال كثيرا من ألقاب التشريف التي لا يستحقها علميا؛ والواقع أن هاملتون جب . كانت شهرته فوق قيمته العلمية وإنتاجه أدنى كثيرا من الشهرة التي خطي بها لأسباب كلها بعيدة عن الفهم ، ولا ندري مدى انطباق مثل هذا الحكم على هاملتون جب [2].

وقد كانت دراساته وبحوثه في ثلاثة أقسام :

1. الأدب العربي

2. التاريخ الإسلامي

3. الأفكار السياسية الدينية في الإسلام .

أولا / الأدب العربي :

أ . في سنة 1926 أصدر كتيبا صغيرا بعنوان (الأدب العربي) وهو كتيب صغير تافه إلى القراء الانجليز ، وقد أعاد طبعه منقحا في سنة 1963م .

ب . وفي سنة 1928 م بدأ سلسلة مقالات في الأدب العربي المعاصر نشرها في " مضبطة مدرسة الدراسات الشرقية "

1. مقالة في الأدب العربي في القرن التاسع عشر .

[1]. ضيف الله فاطمة الزهراء، التاريخ الإسلامي من منظور الاستشراق الانجليزي .لويس برنارد نموذجا، رسالة دكتوراه، كلية الآداب واللغات وآدابها، الجزائر،(1440-1441) (2019-2020)، ص ص 33 ،34.

1عبد القهار العاني، المرجع السابق، ص ص 135،136.

2 . مقالة سنة 1929 م عن (المنفلوطي والأسلوب الجديد)

3. مقالة عن المجددين المصريين .

4. مقالة سنة 1933 عن القصة المصرية .

وقد عقب صاحب الموسوعة على ذلك بقوله : " إنتاجه فيه تافه ضئيل القيمة محدود الاطلاع "

ثانيا : التاريخ الإسلامي

أ . فأول إنتاجه في ذلك كتاب عن :" فتوح العرب آسيا الوسطى " سنة 1923 م وفيه دراسة عن العلاقات بين الجماعات المختلفة التي اشتركت في هذه الفتوح .

ب . وفي سنة 1932 م ترجم الى الانجليزية تاريخ دمشق، لابن القلانسي[1].

3/ آرنولد توينبي (1889. 1976 م) ToynbeeArnold[2]

مؤرخ وفيلسوف تاريخي بريطاني؛ لعله أكبر المؤرخين العالميين المعاصرين وأغزرهم علما وإنتاجا وأوسعهم شهرة [3]، ولد في العاصمة البريطانية لندن في (1889/04/14م)؛ أما أسرته فتنتمي إلى الوسط المثقف فقد كان أبوه موظفا في إحدى المؤسسات الرسمية، و حصلت أمه على البكالوريوس في التاريخ من جامعة كمبريدج؛ ولها كتاب في التاريخ يدرس في مدارس بلادها، وقد أثرت في ولدها آرنولد كثيرا فأصبح مؤرخا مثلها، أحب التاريخ وشغف به، إلا أن أبرز العلماء الذين ظهروا من عائلته هو عمه الذي يحمل نفس اسمه (آرنولد توينبي) وهو من كبار المؤرخين في عصره [4].

نشأ توينبي في مناخ يتسم بالثبات والاستقرار،ويستمد أساسه من الإنجيل والكلاسيكيات اليونانية والإغريقية، وقد فاز في بدء حياته الدراسية بمنحة داخلية وأتاحت له قراءة الكلاسيكيات وتلاها منحة أخرى في جامعة أكسفورد، حيث توسع في قراءاته الكلاسيكية والتي نال عليها درجة الاجتياز وفي نهاية عام 1911 وكان قد بلغ عامه العشرين؛شرع توينبي في جولة لمدة 9 شهور إلى اليونان، راجلا على الأقدام في كريت مشاهدا ودارسا لآثارها التاريخية وكانت هذه الرحلة بداية لأحد

[1]. عبد القهار العاني ، المرجع السابق، ص 136.

[2] *انظر الصورة (ج)، الملحق رقم2، ص81.*

[3]. عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسية، ج1. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص833.

[4]. عابد براك الأنصاري، مهدي عبد الحميد حسين ، عوامل التحضر عند ابن خلدون (ت808هـ) وتوينبي ، دراسة مقارنة ، مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، المجلد الرابع، العدد السابع، السنة الرابعة ،آذار 2017م

العيون التي سوف يستخدمها توينبي للعثور على مادته التي سيكتب منها دراسته عن لتاريخ، وهي عين المسافر والتي مكنته من أن يرى الحضارات في مواطنها الإنسانية وحملته إلى اليونان دارسا للهيلينية ولتركيب دارسا للمجتمع العثماني؛ وجعلته أيضا يلقي نظرة الطائرة على حضارات الشرق الأدنى والمجتمعات الإيرانية والبابلية والحيثية، وزار اليابان وكوريا والصين والهند لدراسة المجتمع الهندوسي ، وزار. وإن كان على نحو سريع . روسيا لدراسة المجتمع المسيحي الأرثوذكسي القديم وعين المسافر تلك هي التي ستضفي الحيوية على وصفه للحضارة والتي ستميزه عن غيره من زملائه المؤرخين الذين لم يزوروا أبعد من مصر " والشرق غير المتغير ".[1]

وقبل أن يلتحق بقسم الاستخبارات السياسية في وزارة الخارجية البريطانية (1915)، عمل مدرسا في أكسفورد ونشر القومية والحرب ثم " أوروبا الجديدة " وفي أثناء عمله في وزارة الخارجية كتب أكثر من مطالعة داخلية مركزة (1918. 1919 م) حول تعارض وعد بلفور مع التزامات بريطانيا إزاء العرب بموجب مراسلات حسين . مكماهون، واتخذ الموقف نفسه، دون إثارة عندما كان عضوا في الوفد البريطاني أثناء مؤتمر السلام في باريس 1919 م، ترك الخدمة الحكومية بعد حضور المؤتمر ليصبح أستاذ التاريخ البيزنطي واليوناني المعاصر في جامعة لندن، قبل العمل مراسلا لجريدة المانسستر غارديان (1922. 1921) أثناء الحرب التركية اليونانية؛ ونشر نتيجة لتجربته تلك كتاب "المسألة الغربية " في اليونان تركي عام 1922 ، وفي عام 1925 عين أستاذا للتاريخ الدولي في أشهر كليات جامعة لندن ومديرا للدراسات في المعهد الملكي للشؤون الدولية [2].

وفي الحرب العالمية الثانية حضر مؤتمر الصلح الثاني في باريس عام 1946 م وقد أتاح له عمله في الخارجية الانجليزية أن يتعرف عن كثب على أحوال الشعوب وأمم العالم ، فاستثمر هذه الخلفية العميقة في تأليف كتابه الشهير (دراسة التاريخ) ومن أبرز مؤلفاته ويتألف من 10 مجلدات ، وقد مكث في تأليفه مدة 20 سنة ، وهذا الذي جعله في الصف الأول من مؤرخي القرن العشرين ، هذا بالإضافة إلى أن توينبي له مؤلفات أخرى تثيره ، وأشرف على تحرير حوليه تقوم باستعراض الشؤون الدولية واستمرت في الصدور لفترة من عام 1920. 1938م، ولديه محاضرات ألقاها في مصر أثناء زيارته لها في

[1] أمين شلبي ،نظرات في آرلوند توينبي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000 م،ص38.
[2]. عبد الوهاب الكيالي ، المرجع السابق، ص833.

الستينيات من القرن العشرين الميلادي الماضي ، وقد وضع عصارة قلبه وخلاصة أفكاره آراءه في كتابه (دراسة في التاريخ)الذي أهتم به المشتغلون بالدراسات التاريخية وفلسفة التاريخ في مختلف الدول[1].

وعلى الرغم من معارضة بعض المؤرخين والمفكرين السياسيين للعديد من نظرياته وتقويماته ، فالذي لا جدال فيه هو أن محاولة توينبي لدراسة تاريخ البشرية برمته ، تعتبر أهم وأعمق محاولة من نوعها ، وأنها وضعته في سجل العلماء الخالدين ، كما أن مواقفه من القضية العربية تؤكد شجاعته المعنوية ونقاد ضميره [2].

4/ برنارد لويس Bernard Lewis[3]

ولد برنارد لويس في لندن عاصمة بريطانيا في مايو 1916 لعائلة يهودية ثرية ، ولم يأت أحد على ذكر طفولته أو عائلته ، ويبدو أنها اتجهت إلى بريطانيا في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي[4] ، تلقى تعليمه الأول في كلية ولسون والمدرسة المهنية حيث أكمل دراسته الثانوية ولا تذكر المراجع أية معلومات عن تلقيه تعليما دينيا يهودي خاصا .[5]

اجتذبته اللغات والتاريخ منذ سن مبكرة ، اكتشف عندما كان شابا اهتمامه باللغة العبرية ثم انتقل إلى دراسة الأرمينية والعربية ثم بعد ذلك اللاتينية واليونانية والفارسية والتركية [6]، ثم قرر الدراسة بجامعة لندن وتخصص في التاريخ ، ليشد الرحال إلى فرنسا أين تحصل على دبلوم الدراسات السامية سنة1937 م فكان يعد من التلاميذ المتفوقين لدى المستشرق الفرنسي ماسنيون ،ليعود مجددا إلى جامعة لندن محاولا في ذلك أن يستوفي على مقعد في مدرسة الدراسات الشرقية الإفريقية ، ليتحصل بعد سنتين على شهادة الدكتوراه سنة 1939 م والتي كان موضوعها يتمحور حول أصول الإسماعيلية والذي عالجه في رسالة قصيرة [7].

استدعي أثناء الحرب العالمية الثانية لأداء الخدمة العسكرية وأعيرت خدماتهلوزارة الخارجية من سنة 1941م إلى سنة 1945 م، وبعد الحرب عاد إلى مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية

---

[1]. عابد براك الأنصاري، مهدي عبد الحميد حسين، المرجع السابق،ص11.

[2]. عبد الوهاب الكيالي ، المرجع السابق ، ص833.

[3] *انظرالصورة(د)، الملحق رقم2، ص81.*

[4]. صبحي عبد المنعم محمد، المستشرق برنارد لويس ومنهجه في دراسة التاريخ الإسلامي، مجلة كلية دار العلوم ، العدد الثالث عشر يونيو 2005،ص484

[5]حسين الموسوي القابجي ، المرجع السابق ، ص ص 157،156.

[6]. جهاد سعد، المرجع السابق، ص07.

[7]. ضيف الله فاطمة الزهراء ، المرجع السابق ، ص87.

لتدريس التاريخ الإسلامي حيث أصبح أستاذ كرسي التاريخ الإسلامي ثم رئيسا لقسم التاريخ عام 1957م[1].

وبعد غروب شمس النفوذ البريطاني عن الشرق الأوسط واضطرار بريطانيا إلى تنفيذ سياسة الانسحاب نتيجة ازدياد حركات التحرر في العالم العربي والإسلامي ليستدل الستار على النفوذ البريطاني في المنطقة ، وتصميم الولايات المتحدة الأمريكية الوريث الطبيعي للمصالح الغربية الاستعمارية ، اكتشف برنارد لويس أن وجوده في بريطانيا لم يعد له جدوى ، ووجد أن مكانه الطبيعي يجب أن يكون في الولايات المتحدة حيث مركز التأثير في صناعة القرار الغربي في الشرق الأوسط ، وهو اليهودي الذي ظهرت صهيونيته كحقيقة لا مرد فيها ، أكد ص في كتاباته ومقالاته الصحفية ، وأحاديثه الإذاعي المسموعة والمرئية ومحاضرته العامة بل إن درجتين من بين درجات الدكتوراه الفخرية الثماني التي حصل عليها جاءته من اسرائيل ، وتحرص الجامعة العبرية بالقدس على الاحتفال بعيد ميلاده أثناء احتفال بقيام الدولة العبرية ولويس برنارد على حضور هذا الاحتفال سنوي وبعده من سبة عزيزة على قلبه [2].

لينتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن وجهت له العديد من الدعوات للتدريس بجامعاتها على وسام زائر، نذكر منها جامعة كولومبيا، وجامعة آنديان وجامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس، جامعة أو كلاهوما، ليحط رحاله بجامعة برنستون وظل هناك حتى تقاعد عام 1986م؛ وإن هذه المسيرة المهنية والفكرية مليئة بالخبرات الميدانية لم تنتهي بالتقاعد بل أوسمته ليعين مديرا لمعهد أنانبرج بولاية بنسلفانيا [3].

قدم خدماته واستشارته لكل من الحكومة البريطانية؛ التي كلفته القيام برحلة إلى العديد من الجامعات الأمريكية وإلقاء الأحاديث الإذاعية والتلفازية، كما قدم استشارته لكونجرس الأمريكي أكثر من مرة وفي إحدى المرات 8 مارس 1974 م ألقى محاضرة في أعضاء لجنة الشؤون الخارجية بالكونجرس الأمريكي حول قضية الشرق الأوسط؛ ولأهمية هذه المحاضرة نشرتها وزارة الخارجية الإسرائيلية بعد أسبوعين من إلقائها [4].

[1] سيحاوي أمينة ، المرجع السابق، ص 302.
[2]. صبحي عبد المنعم محمد، المرجع السابق، ص ص 485،486.
[3]. ضيف الله فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص 82.
[4]. حسين الموسوي القابجي ، المرجع السابق، ص 158 .

يمتد تأثير لويس إلى ما وراء العمل الأكاديمي ليبلغ الناس فهو باحث رائد في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للشرق الأوسط ومعروف ببحوثه الشاملة في الأرشيف العثماني ابتدأ مهامه البيئية بدراسة عرب القرون الوسطى لاسيما تاريخ السوريين، وعدت محاضرته الأولى التي كرست للنقابات المهنية لدى مسلمي القرون الوسطى العمل الأكثر اعتمادية عليه لما يناهز الثلاثين سنة[1]، وفي السنوات الأخيرة نجد أن برنارد لويس اتجه إلى الكتابة والبحث في **الدولة العثمانية** وتركيا بحيث نجد له في هذا المجال كتاب استانبول حضارة الخلافة الإسلامية، وكتاب ظهور تركيا الحديثة[2]، كما يعتبر أحد أبرز منكري مذابح الأرض ، حيث تغير موقفه جذريا من الاعتراف بحدوث مجازر أودت بحياة أكثر من مليون ونصف على يد العثمانيين إلى رفض تسمية ما حدث بالمجزرة واعتبارها أعمالا مؤسفة أودت بحياة أتراك وأرمن على حد سواء أدى موقفه حدا إلى محاكمته في فرنسا وتغريمه مبلغا رمزيا قدره فرنك فرنسي واحد [3].

لقد كانت أغلبية كتابات لويس تنصب في معظم مجالات الدراسات العربية والإسلامية وهي : التاريخ الإسلامي والفكر السياسي والحركات الإسلامية المعاصرة؛ وكذا دراسات المجتمع الإسلامي، بالإضافة إلى الدراسات الخاصة بالحلقات الزمنية السابقة مثلا الدولة العثمانية، وقد تمت ترجمة أغلب مؤلفاته إلى 20 لغة منها العربية، الفارسية، التركية والأندونيسية؛ لعلّ من أبرزها : أصول الإسماعيلية وهو كتاب نفيس يصنف الشيعة إلى شيع معتدلة ومغالية (كمبريدج 1940 وقد نقل إلى العربية، وتاريخ اهتمام الانجليز بالعلوم العربية وهو ست مقالات نشرت في المستمع العربي) والعرب في التاريخ (لندن 1950) نقله إلى العربية الدكتوران : نبيه أحين فارس ومحمد يوسف زايد، واستانبول وحضارة الإمبراطورية العثمانية (1953) ، كما اشترك في وضع تاريخ الإسلام بكمبريدج 1970 م وفيتحرير دائرة المعارف الإسلامية وغيرها من المؤلفات والبحوث [4].

[1]. جهاد سعد، المرجع السابق ،ص9.
[2]. سيحاوي أمينة ، المرجع السابق ، ص302.
[3]. جهاد سعد ، المرجع السابق، ص10.
[4]. نجيب العقيقي، المرجع السابق،ج2. ص ص 144،145.

المطلب الثالث: وسائل المدرسة البريطانية:

إن الاستشراق منذ ولادته على أرض الواقع كان نتاجظهور سياسة استعمارية دينية خاصة، ونموه كان محاطا بدوافع خفية، أخذت تتفشى تدريجيا إلى العالم العربي الإسلامي تحت قناع العلم والبحث والدراسة، ولتحقيق هذه الغايات كان لابد من وسائل تسهل عملية الولوج والغزو الحضاري والفكري.

ومن بين الوسائل التي اتخذها البريطانيون لتحقيق أهدافهم منذ ثلاثينيات القرن السابع عشر للميلاد هي التدريس بالجامعات والمعاهد وإلقاء المحاضرات في بريطانيا وخارجها وجمع وتحقيق المخطوطات العربية ونشرها وعقد المؤتمرات وتأليف الكتب وإنشاء الموسوعات والاهتمام بالمكتبات والوثائق والجرائد والمجلات الخاصة في دراسة التاريخ الحديث أهمها كالتالي:

1/ **كراسي اللغات الشرقية** :هناك 56 جامعة أو معهدا يعلم معظم اللغات الشرقية ومن أهمها وأشهرها ما يلي:

أ . **جامعة أكسفورد 1167 م univ ofoxford** :أنشئت على غرار جامعة باريس وقد حضت العربية والعبرية والكلدانية والسريانية بأول كراسي فيها نزولا على قرار البابا كليمنص الخامس في مجتمع فيينا (1311. 1312) ثم أنشأ كبير الأساقفة لود كرسيا للعربية فيها 1636 م وسمي ادوارد بوكوك الأب أو أستاذ لها عليه وفي مطلع القرن الثامن عشر أضيف إليه كرسي آخر ، فوقفنا على اللغة العربية والسنة اللغات السامية والدراسات الإسلامية .[1]

ب . **جامعة كمبريدج م1257 univ.Ofcambridge** :بدأت عام 1209

بدأت عام 1209م عندما غادر ثلاثمئة طالب اكسفورد الى كمبردج وعلمت اللغات الشرقية ، ثم استحدث السيرتوماسأدامز كرسيا للغربية فيها 1633 م وعين ابراهيم ويلوك أول استاذا لها عليه وفي مطلع القرن الثامن عشر أضيف اليه كرسي آخر فاشتهر فيها مستشرقون اعلام أساتذة من عرب ؛ أمثال : حسن توفيق الذي علم فيها مدة ثم انتقل إلى معهد اللغات الشرقية في برلين.[2]

ج . **جامعة لندن 1828 م univ.oflondon:** أنشأت للغة العربية كرسيا ، ولما نقل إلى مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية 1916 م عنه بوظائف خاصة بالدراسات الشرقية ثم أنشأت المدرسة

[1]. نجيب العقيقي، المرجع السابق، ج2. ص10

[2]. نفسه.

كرسيا جديدا للدراسات الإسلامية أشرف عليه الأستاذ بكنجهام وما زالت تفي بالشرقين الأوسط والأدنى لغات وحضارات [1].

د . **معهد البحوث الشرقية :** يضم قسم اللغات العربية والفارسية والأوروبية وأقسام للغات السنسكريتية والمليباريةالكناندية والتاميلية والتولوجية والهندية .

2/ **تحقيق المخطوطات :** كانت المراكز العلمية في أوروبا والمكتبات في بريطانيا لا تخلوا من المخطوطات العربية الهامة في مختلف العلوم والفنون والأدب والتي تحصلت عليها أوروبا أما عن طريق الشراء أو الأخذ وقد كان اهتمام المستشرقين بالمخطوطات كبيرا جدا ، وذلك لإدراكهم قيمة المخطوطات حضاريا وثقافيا[2].

والغرض من كل هذا الاطلاع أكثر على تراث المسلمين[3]. فالمخطوطات هي المرآة العاكسة لكل حلقة زمنية للحضارات السابقة واللاحقة على مر العصور وهي سجل تاريخي الثقافي والفكري والاجتماعي والسياسي، ومن هنا جاءت قيمة المخطوطات في الفكر اليوناني والروماني، وقيمة أوراق البردي في تاريخ الفراعنة وقيمة المخطوطات العربية في التاريخ الفكر العربي.[4] وهناك مخطوطات آخرى مثل: المخطوطات التركية لويس فهرس المخطوطات التركية لندن 1888 م.

3. **عقد المؤتمرات ولقاءات التحاور :** حرك الباحثون الغربيون خاصة الذين يهتمون بدراسة نمطية وضبطية التواصل والتعامل مع الدول الشرقية ، أن يستدرجوا وسيلة للولوج إلى حياة المجتمعات الشرقية خاصة الأكاديمية ، وهذا حتى تظل دراستهم حية وكانوا يحاولون من خلالها بث الفكر الاستشراقي وإقناع مثقفي العالم الإسلامي به[5].

4. **المكتبات الشرقية:**وهي تتمثل في المكتبات الحكومية؛ مثل مكتبة المتحف البريطاني،Britishmusem لندن 1853م، كانت نواتها الأولى كتب ومخطوطات وتحف السيرهاملتون، كما أضيف إليها من مكتبات الأفراد أمثال:كارل أكسفورد والسيرروبرتكورتون، ومارسدين الذي رحل إلى سومطرة وأشهر كتاباته عن النقود الإسلامية وأهدى إلى المتحف مخطوطات عربية كثيرة ، كما أهدى إلى جورج الثاني المكتبة الملكية وحيل كثرة الكتب والمخطوطات الشرقية في المتحف أنشئ لها 1892 م قسم خاص تمثلت فيه

[1]. نجيب العقيقي، المرجع السابق، ج1. ص 11.

[2]. عقيلة حسين، المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي، دار ابن حزم، بيروت، ص 51 .

[3] نفسه، ص 50

[4]. محمد عبد الغني حسين، دراسات في الأدب العربي والتاريخ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ،ص105.

[5]. عبد الرحمان الميداني، المرجع السابق، ص 135.

حروف اللغات الشرقية في الكتب المطبوعة من طنجة إلى طوكيو والمخطوطات الشرقية بسبعين لغة بينهما : المصاحف ، والمعاجم والتواريخ وأوراق البردى[1].

5. **اكتساب عضوية مجامع اللغة العربية :** وقد ساهمت عضوية المستشرقين بالمجامع العلمية واللغوية في تقريبهم إلى المتعلمين والدارسين المسلمين فتكمن خطورة العضوية المجمعية المستشرقين في امكانية أن يعدها بعض الباحثين دلالة على صحة دراستهم وأفكارهم :

ومن المستشرقين البريطانيين الذين اكتسبوا العضوية المجمعية كان أربريوينكاسون في المجتمع اللغوي بالقاهرة[2]، بينما نال مرجليوث وهاملتون جيب عضوية المجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي العربي في دمشق في آن واحد.

المطلب الرابع: التراث الإسلامي والمدرسة البريطانية للاستشراق

لطالما كان المشرق الإسلامي في نظر الغرب مجتمعا غريبا ومبهما ، ولابد من الولوج إليه لدراسته ومعرفة حقيقته ، فكان لابد من وجود طريقة للدخول إلى العالم الإسلامي، فتخلى الغرب عن مصطلح الاستشراق وانبرى على ميوله على أهداف سامية منوطة بمنهج التوطيد والتواصل الإنساني والتبادل الفكري،والاندثار العلماني لينشئ أقساما لدراسات الشرق الأوسط ومراكزا للبحوث وفتح مجال تحت رداء التدمير والتخريب [3].

انكب الغربيون على علوم الشرق الإسلامي في شتى الميادين؛ ينقلونها إلى اللغات الأوروبية وينقلبون إلى أهليهم في الغرب يعلمون بني أوطانهم ما أخذوه عن علماء المسلمين من علوم كي يتفوقوا عليهم، ويتخلصوا من سيطرتهم، وقد ظل العلماء المسلمون يبذلون للغربيين ما لديهم من علوم نافعة بسماحة وسخاوة نفس، ولم يضنوا على طالب علم بشئ، أو يكتموا علما مما علمهم الله إياهم بل كانوا يتعبدونه بنشر العلم وتنوير الجاهل وإرشاد الضال؛ وفينفس الوقت ظل أولئك الطلاب الغربيون يدرسون وينقلون تلك العلوم على يد العرب والمسلمين وأكثرهم محتفظون لأنفسهم بعقائدهم واتجاهاتهم البغيضة نحو الإسلام والمسلمين [4].

---

[1]. نجيب العقيقي، المرجع السابق، ج2 ،ص22.

[2]. محمد عبد الفتاح عليان، أضواء على الاستشراق،ج2. ط1.دار البحوث العلمية (1400ه/1980م)، ص ص28،29.

[3]. ضيف الله فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص 65.

[4]. اسماعيل علي محمد، المرجع السابق، ص 42.

اهتم المستشرقون بالديانة الإسلامية بهدف معرفة حياة المسلمين لتسهل عملية الانتحال عليهم فالدين الإسلامي بصفة عامة هو الذي يحكم حياة المسلم ويوجهها في أدق تفاصيلها، ذلك أن جهود المستشرقين في العالم الإسلامي كانت تسعى إلى خلق مناهج مادية يقاس عليها كل من الدين والفقه والسنة؛ فظهر تيار من المفكرين العلماء وحتى السياسيين الذين تأثروا بالفكر الغربي وانحازوا إليه فطالبوا بفصل الدين عن الحياة السياسية والاجتماعية؛ لأن الدين الإسلامي هو دليل الحكم للحاكم العربي المسلم فهو القانون الإلهي المنزه عن الخطأ وسمي هذا التيار بالعلمانية، فأوروبا وجدت في الديانة النصرانية المحرفة فيها مطبات أعاقت سير الحياة وتقدمها فطالبت بفصل الدين عن الحياة،وجعل هذه الشعائر الدينية تقتصر على العلاقة التعبدية بين الإنسان والله في إطار الكنيسة فقط[1].

وأما الجانب السياسي والاجتماعي والاقتصادي فلا علاقة له بالدين، فإن ما ينطبق على أوروبا لا ينطبق على الإسلام والمسلمين، لأن هذه الأخيرة لم تعرف حقيقة النصرانية أو ما جاء به عيسى عليه السلام فجل ما عرفته هي الديانة النصرانية المحرقة من قبل بولس وغيره [2].

وهناك بعض المستشرقين أقبلوا على دراسة الإسلام دراسة علمية خالصة محاولين التجرد من الهوى والتجافي عن التعصب؛ وبدافع حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها ولغاتها وهؤلاء كانوا أقل خطأ في فهم الإسلام وتراثه؛ لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدرس والتعريف فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق والى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين [3].

ولا شك أيضا أننا مدينون للكثير من المستشرقين بطائفة كثيرة من المصنفات التي أسهمت بنصيب كبير في ثروة الفكر وخاصة بعد ترجمته إلى العربية، فقد أوضحت الكثير من الحقائق العلمية وأضافت إلى مكتبتنا العربية العديد من الأبحاث، وقد يكون للعقلية الغربية المنظمة القادرة على البحث والتحليل والتتبع أثر في ذلك الطابع الذي تتسم به دراستهم وأبحاثهم، ومن محاسن المستشرقين إدخال المنهج العلمي على دراستنا الإسلامية والعربية وهذا المنهج قائم على الإحاطة والموازنة والترتيب والاستنباط لبلوغ الحقيقة ، وقد طبقه المستشرقون على علومنا وآدابنا وفنوننا تطبيقا صحيحا .

---

[1] *ضيف الله فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص66*

[2]. ضيف الله فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص 66.

[3]. اسماعيل علي محمد، المرجع السابق، ص42.

وقد ساعدهم على تطبيق منهجهم العلمي مميزات خاصة منها إتقانهم لأمهات اللغات سامية كانت أو آرية وتخصص الواحد منهم بلغة أودين أو علم أو أدب أو فن أو سلالة أو عصر أو أديب وبما أنهم دخلاء على التراث الشرقي فقد اصطنعوا التمحيص والدقة فيه، لعلمهم بأن الأخطاء الفاحشة والتحريف والتضليل تنال من أقدارهم في أعين الشرقيين وتصرف الأنظار عنهم، ومن مميزات المستشرقين أيضا جلدهم على العمل وربما ينقضي عمر أحدهم في تحقيق مخطوط أو تصنيف كتاب أو موسوعة دون كلل أو ملل [1].

بلغ ما ترجم من العربية في القرون الوسطى أكثر من ثلاثمائة كتاب منها تسعون في الفلسفة والطبيعيات، وسبعون في الرياضيات والنجوم، وتسعون في الطب وأربعون في الفلك والكيمياء وظلت هذه هي زاد أوروبا الذي أخذت تثريه وتفيد منه شيئا فشيئا؛ حتى كانت نهضتها المادية الكبرى التي هددت كياننا بعد ذلك [2].

تراثنا العربي الإسلامي يعد أغنى تراث في العالم وهو تراث نعتز به ولا يجوز لنا أن نفرط فيه ونعني بالتراث كل إنتاج بشري للمسلمين في شتى مجالات الأدب أو اللغة؛ أو الفكر أو الدين أو العلوم بصفة عامة أو الفنون المختلفة، وتنبع أهمية هذا التراث من أنه يمثل الإطار الذي يحدد للعرب والمسلمين هوية معينة وصبغة متميزة ويمثل الخلفية الفكرية لتصوراتهم وأفعالهم لكل مجالات الحياة ويعطي لهم الركيزة الأساسية للأديولوجية الخاصة التي يتميزون بها بين الأمم، وكل ذلك مرتكز بطبيعة الحال على أسس إسلامية راسخة[3].

أن ما ضاع من تراثنا لا يمكن بحال أن يخضع لتقدير فض يستطيع أن يقدر عدد المجلدات التي صنعت الجسر بل السد الذي عبرت عليه خيول هولاكو وجنوده بين شاطئ دجلة؛ فمن يستطيع أن يحصي ما حرقه الصليبيون في حملاتهم التي جاءت في موجات متتالية مثل موجات التتار، وكانت الكتب والمكتبات طوال هذه المعارك هدفا مقصودا للصليبيين حينا ووقودا للنيران الطائشة حينا آخر، وبحسبنا أن نذكر أن بعض المؤرخين قدر ما أتلفه الصليبيون في طرابلس وحدها بثلاثة

[1]. علي حسن الخربوطلي، المرجع السابق، ص ص123، 124.
[2]. اسماعيل علي محمد، المرجع السابق ، ص 42.
[3]. محمود حمدي زقزوق، المرجع السابق ، ص 155 .

ملايينمجلد ويحدثنا التاريخ أن احد الأطباء رفض دعوة سلطان بخاري للإقامة في بلاطه لأنه يحتاج إلى أربعمائة بعير لنقل مكتبته[1].

وللمستشرقين أثر واضح في خدمة التراث العربي الإسلامي، منذ أن استقام عود الاستشراق وتكونت لديه العراقة وتحول من مجرد أداة هدم إلى ظاهرة لها كيانها ومدارسها وفتاتها ومطلقاتها في أهدافها هذا في الوقت الذي تأخر فيه العرب والمسلمون عن خدمة التراث خدمة علمية ومادية، حتى خشي على ضياعه بينهم، عندما أصبح في كثير من دور الكتب قطعا متحفية تباع خفية لمن يدفع أكثر أو يبسط بها في الأسواق العامة على قارعة الطريق هذا في أحسن الأحوال [2].

لقد عينت الدراسات الإستشراقية في إحدى مراحلها بجمع المخطوطات الإسلامية تحديدا في القرن السابع عشر وتم نقلها إلى الغرب القيام بحفظها المستشرقون والرحالة الغربيون الديار الإسلامية بحثا عن المخطوطات، كان الكثير من هذه المخطوطات عرضة للضياع والإهمال وحتى الامتهان فالأحداث السياسية التي تعرضت لها الأمة وتغيراتها، أثرت بشكل سلبي على جميع الجوانب الأخرى الاجتماعية والاقتصادية والعلمية.[3]

المطلب الخامس: عوامل ازدهار الدراسات الشرقية في بريطانيا

ساعدت مجموعة من العوامل على تقدم الدراسات الشرقية والاهتمام بها من قبل المستشرقين البريطانيين ومن هذه العوامل :

- الارتباط الواضح بين الاستشراق البريطاني والتنصير، فكما وضحت الدراسة كان أوائل المستشرقين من القساوسة والرهبان، كما أن روجر بيكون المستشرق البريطاني أول من نادى بتعلم اللغة العربية لتسهيل تنصير المسلمين؛ إذ لا جدوى من حرب المسلمين عسكري، إدراك المستشرقين البريطانيين لأهمية اللغة العربية والتي شكلت في ذلك الوقت مصدر العلم والحضارة، وحلقة الوصل التي يمكن عن طريقها التعرف على الحضارات السابقة فنادوا بأهمية وضرورة دراستها[4] ومن أوائل من نادى بذلك : وليم بدويل[5]williamBeduel(ث 1632)

---

[1] عبد العظيم الديب، المستشرقون والتراث، ط3 دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة ،(1413ه / 1992م)، ص 6 .

[2]. علي الحمد النملة ، المستشرقون ونشر التراث . دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة ، ط1 مكتبة الملك فهد ، الرياض ،(1424ه / 2003م)،ص ص 20،21.

[3] رائد أمير عبد الله، المستشرقون وجهودهم في خدمة التراث الإسلامي . المخطوط ، آداب الرافدين، العدد67، 1434هـ2013م، ص 15

[4] *أمل القبيتي، المرجع السابق، ص51*

[5]. ويلم بدويل (1561-1632) تخرج من جامعة كمبردج وعين أستاذا للعربية في أكسفورد. ينظر: العقيقي، المرجع السابق ، ج 2 ص464

- وأدموند كاستل E،[1]castell(1685) وبوكوك E،pocoke(1691ث)[2] في مقالاتهم لتي وضعوا فيها أهمية اللغة العربية والحاجة إلى دراستها من قبل الطلبة الراغبين في التعمق والبحث .
- إنشاء كراس جديدة للعربية في جامعة أكسفورد وكمبريدج مما أدى إلى زيادة الاهتمام بالدراسات الشرقية وازدياد نشر عدد كبير من الكتب القيمة ، كما تم إنشاء منصب جديد للأستاذية العربية بجامعة لندن في القرن التاسع عشر ميلادي، والذي يمكن اعتباره دافعا جديدا لنمو وازدهار الدراسات الشرقية؛ إذ تم إثراء هذا القسم بالمراجع وتخرج فيه عدد من المستشرقين من البريطانيين وغير البريطانيين من دول أوروبا .

تكوين الجمعيات والمجلات الشرقية، مثل الجمعية الأسيوية في باتافيا عاصمة جاوه (1196هـ/1781 م) والجمعية الأسيوية للبنغال والتي أسسها وليم جونز في كلكتا عام (1199هـ/ 1784م) وأصدرت مجلة باسمها (1248 هـ / 1832 م) والجمعية الملكية الأسيوية[3].

كما أدى وجود الطلبة البريطانيين في الهند أن دراستهم وأبحاثهم تحتم عليهم دراسة العربية التي هي أساس الثقافة الإسلامية؛ مما أدى إلى تفعيل دور تلك الجمعيات في ازدهار الدراسات الاستشراقية في بريطانيا [4]. بالإضافة إلى زيادة الاهتمام البريطاني بالعالم الشرقي نتيجة العلاقات استعمارية ومطامع اقتصادية في ثروات الشرق[5].

[1]. دموندكاستل (1606-1632) تخرج من جامعة كمبردج، عين أستاذا للعربية بكمبردج عام 1667 عين محافظا خاصا للملك تشارلز الثاني وراعيا لكاتدرائية كانتربري من مؤلفاته : مجمل معجم اللغات السامية. ينظر: نجيبالعقيقي، المرجع السابق، ص 467.

[2]. إدوارد بوكوك (1604- 1691) تخرج من كلية كريستونال الماجستير في الآداب قصد حلب، وقضى فيها خمس سنوات أتقن فيها العربية، ولما عاد إلى انجلترا أسند إليه الأسقف لود كرسي العربية . ينظر: نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص ص 467،468.

[3]. أمل الثبيتي ، المرجع السابق ، ص 52.

[4]. برنارد لويس، تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية، ص42.

[5]. أمل الثبيتي، المرجع السابق، ص 53.

المبحث الثالث

المستشرقون البريطانيون وأهم قضايا التاريخ العثماني

المطلب الأول: قيام الدولة العثمانية

المطلب الثاني: ضريبة الدم (الدوشرمة)

المطلب الثالث: الحرملك

المطلب الرابع: أهل الذمة في العهد العثماني

المطلب الخامس: تقييم المدرسة البريطانية للاستشراق

تمهيد

لقد أغفلت المصادر والمراجع المعلومات الأساسية عن الأتراك قبل دخولهم الإسلام؛ فلم يحظ تاريخ الأتراك العثمانيين باهتمام جاد سواءا من المؤرخين المسلمين أو غير المسلمين إلا إشارات عابرة، واكتفوا بإشارات عابرة عن بداية القائد عثمان وهجرة قبيلته،على الرغم من وجود عدد من المؤرخين المسلمين الذين أرخوا لبدايات ظهور العثمانيين على مسرح الأحداث، لكن لا المؤرخين المسلمين تحملوا عناء الترجمة للرجوع لها، ولا المستشرقين أيضا؛ فعدوها فترة غامضة واكتفوا بحياكة الأساطير حولها.

وهذا الأمر كان سببا في ترك المستشرقين يتجولون بحرية في مساحة الكتابة عن بداية ظهور العنصر العثماني وقوته السياسية، مما أدى إلى أن الخلفية عن بدايات العثمانيين لا يمكن أن تأتي إلا عن طريق المستشرقين، في الوقت الذي زاد فيه نفور المسلمين والعرب من العثمانيين؛ بسبب كتابات المستشرقين التي ألصقت بهم كافة التهم المنطقية وغير المنطقية، فقد أخرجوا لنا التاريخ العثماني محاطا بالأساطير والأكاذيب الملفقة .

المطلب الأول : قيام الدولة العثمانية

يقول لويس برنارد في كتابه استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية : " إن التسمية " الترك " ظهرت لأول مرة في التاريخ في القرن السادس الميلادي، و ذلك عند حديث المدونات الصينية عن إمبراطورية قوية في آسيا الوسطى؛ أسسها شخص يدعى بـ " توكيو " "tukiu؛ في الأزمنة القديمة في تاريخ آسيا و حتى في تاريخ أوروبا؛ و لكن " توكيو " صورتها المحرفة " ترك " بكل سهولة - هي أول الشعوب التركية التي ظهرت في التاريخ بهذا الاسم، وهو الذي أصبح فيها بعد اسمهم المميز، واستجلبت هذه الإمبراطورية التي امتدت عبر الهضاب (steppse)، من حدود الصين إلى البحر الأسود انتباه المؤرخين الإغريق والصينيين على سواء، وعلى كل حال فإنها كانت قصيرة العمر، وسرعان ما تفككت في طوائف متحاربة وقع بعضها تحت نفوذ الصين، لم يكن هؤلاء الأتراك القدامى من آسيا الوسطى متوحشين، إذ كانت لهم لغة مكتوبة و تأثرت بعض طوائفهم الرئيسية بديانات العالم المتحضر كالبوذية و المانوية و المسيحية النسطورية[1].

[1] برنارد لويس ، استنبول و حضارة الخلافة الإسلامية ، تر: سيد رضوان علي ، ط1. الدار السعودية للنشر و التوزيع السعودية ، 1402 هـ - 1982 م ص ص 27،28 .

تحركت هذه القبائل في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي في الانتقال من موطنها الأصلي[1] نحو أسيا الصغرى في هجرات ضخمة، وذكر المؤرخون مجموعة من الأسباب التي ساهمت في هجرهم فالبعض يرى أن ذلك سبب عوامل اقتصادية؛ فالجهد الشديد و كثرة النسل جعلت هذه القبائل تضيق ذرعا بمواطنها الأصلية، فهاجرت بحثا عن الكلأ و المراعي و العيش الرغيد، و البعض يعزو تلك الهجرات لأسباب سياسية حيث تعرضت تلك القبائل لضغوط كبيرة من قبائل أخرى أكثر منها عددا و قوة و هي المغولية، و اضطرت تلك القبائل المهاجرة أن تتجه غربا، و نزلت بالقرب من شواطئ نهر جيحون ثم استقرت بعض الوقت في طبرستان و جرجان، فأصبحوا بالقرب من الأراضي الإسلامية التي فتحها المسلمون بعد معركة نهاوند و سقوط الدولة الساسانية في بلاد فارس سنة 21هـ/646م[2] .

وفي هذا يقول برنارد لويس مجددا :".. ففي القرن الثامن الميلادي فتح العرب - الذين كانوا قد حملوا عقيدة الإسلام الجديدة من الجزيرة العربية إلى إيران - الأراضي الواقعة بين نهري سيحون وجيحون - وحدث إثر ذلك الاحتكاك المباشر بينهم وبين الشعوب في آسيا الداخلية[3]،ولم يتم إجبار الأتراك على اعتناق الإسلام - مثلما كان الحال مع الكثير من الشعوب الأخرى – إذ أن إسلامهم لا يحمل اي علامات على الجبرية أو الإخضاع [4].

حمل مجاهدو التنور والمبلغون الدراوشة - الذين كان معظمهم من أصل تركي - العقيدة الإسلامية إلى القبائل غير المغلوبة ما وراء حدود الإمبراطورية الإسلامية، و بمرور الأيام اعتنقت معظم الشعوب التركية العقيدة الإسلامية، واختارت معها الخط العربي وشيئا كثيرا من حضارة الإسلام الغنية المركبة من عناصر شتى[5].

منذ أوائل القرن التاسع الميلادي بدأ الخلفاء يستجلبون الأرقاء الأتراك من الحدود الشرقيةلاستخدامهم في الجيش بصورة خاصة، وعرف هؤلاء بالمماليك؛ وهو تعبير عربي معناه" ما يملك "وذلك لتمييزهم عن الأرقاء الذين يستعملون لأغراض الخدمة في البيوت والأعمال التجارية والاقتصاديةوشكل هؤلاء المماليك الأتراك طبقة حربية خاصة؛ رغم أنهم كانوا في المرتبة الدنيا، ولكن كان هذا اسميا فقط؛ واستجلبوا إما بطريقة الشراء أو الأسر، ولكن كان يوحدهم الإخلاص العسكري

1 انظر الخريطة ص 82.

[2] علي محمد الصلابي ، الدولة العثمانية - عوامل النهوض و أسباب السقوط ، ط ١.دار التوزيع و النشر الإسلامية ،1421 هـ / 2001 م، ص 25.

[3] برنارد لويس ، استنبول،ص 28 .

[4] برنارد لويس ،ظهور تركيا الحديثة ، تر: قاسم عبده قادم ، سامية محمد ،ط ١. المركز القومي للترجمة، القاهرة ،2016 ص 30.

[5] برنارد لويس، استنبول ، ص 28 .

الصادقوأصبح هؤلاء بمرور الأيام الركيزة الرئيسية لجيوش الإسلام، و ترقى القواد منهم بسهولة إلى مرتبة ولاة الأقاليم و أسس بعض هؤلاء الأسر الحاكمة[1].

ظهر أول الحكام الأتراك في الإسلام في القرن التاسع الميلادي لأول مرة، و في القرن الحادي عشر كان هناك عدد قليل من الحكام المسلمين الذين لم يكونوا أتراكا[2]. فقد شهدت بدايات القرن الحادي عشر ظهور أول حاكم تركي عظيم مستقل في العالم الإسلامي، وهو محمود الغزنوي الذي استخدم سلطته لكي يقود جيشا من الأتراك في حرب حدودية واسعة النطاق لكي يغزو الهند الهندوسية.

في وقت لاحق من القرن نفسه كان السلاجقة يمثلون انطلاق موجة جديدة من الغزاة الأتراك عبر جنوب غرب آسيا، و انتزعوا مناطق جديدة للإسلام من الإمبراطورية البيزنطية، وزرعوا في المشرق الإسلامي قوة عسكرية ودينية؛ وهو ما مكنهم من الصمود وصد الهجوم الأوروبي الكبير في أثناء الحروب الصليبية في نهاية الأمر[3].

في موضوع نشأة قوة الأتراك وانتشار الشعوب التركية وتقاليدها في أراضي الإسلام تتميز فترتان بصفة خاصة؛ الأولى : فترة سلاطين السلاجقة الذين حكموا الشرق الأوسط حوالي قرن من الزمن؛ من فتحهم لبغداد في 1055م إلى موت السلطان سنجر في 1157م، والثانية : فترة الفتح المغولي في القرن الثالث عشر الميلادي وغلبة المغول ونفوذهم الذي تبع ذلك الفتح[4].

عرفت منطقة الأناضولAnatolie في نهاية القرن الثالث عشر و بداية الرابع عشر - فترة فراغ سياسي كان ناتجا عن الإنهاك و الإعياء الذي أصاب أكبر كيانين متصارعين على النفوذ فيها هما دولة سلاجقة الروم seldjoukide و الإمبراطورية البيزنطية empire byzantin[5] .وقد تلقت كل منهما و في وقت متقارب ضربة قاسمة، انتفضت أوروبا الغربية على هيئة حملة صليبية رابعة (1204 م) على الإمبراطورية البيزنطية و ليس على الدولة الإسلامية، فكان أن فرضت على القسطنطينية حكما كريها هدم الكثير من قيم أهاليها، وقد جعلت حملة 1204 م من المستحيل قيام الاتحاد بين الشرق الأوروبي وغربه، وقال البابا أن الاتحاد أصبح الآن مستحيلا إلى الأبد[6].

[1] برنارد لويس، استنبول، ص ص26،29 .

[2] نفسه ،ص 26.

[3] لويس برنارد ، ظهور تركيا الحديثة ، ص 30.

[4] بن سخري زوبير، المسلم العثماني كأخر في كتابات لويس برنارد ، النور للدراسات الحضارية و الفكرية ، السنة التاسعة ، يوليو 2018 ، العدد 18 ص 56 .

[5] الغالي غربي ، دراسات في تاريخ الدولة العمانية و المشرق العربي 1288 -1916 – ط2. ديوان المطبوعات الجامعية 2011 ، الجزائر. ص 12 .

[6] عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الاسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص 36 .

ليستعيد البيزنطيون عاصمتهم القسطنطينية من يد اللاتين في عام (659هـ -1261 م) على يد الإمبراطور ميخائيل الثامن باليولوغوس (657 هـ- 1282 م)؛ الذي أعاد إحياء الإمبراطورية البيزنطية [1] منذ الحملة الصليبية الرابعة؛ بدأت هذه الأخيرة في تركيز جهودها و اهتماماتها على شبه جزيرة البلقان و ما وراء البلقان أكثر من تركيز جهودها على خطر الإمارات الإسلامية التركية النامية على حسابها في الأناضول؛ زيادة على الضعف والتدهور الذي أصاب نظام الدولة من جراء كثرة الفتن والقلاقل الداخلية بين أفراد البيت الحاكم، و كذلك الطبيعة الارستقراطية للحكم البيزنطي والمركزية الشديدة[2].

أما دولة سلاجقة الروم فإن معركة كوسة طاغ سنة 1243 م ضد المغول mangol كانت بالنسبة لها بداية النهاية، ويمكننا وصف خريطة التشكيلات السياسية التي كانت سائدة في بلاد الأناضول في هذه الفترة من تاريخ المنطقة أي القرن الثالث عشر كالتالي: في الشمال الشرقي و الجنوب الشرقي تقوم مملكتان مسيحيتان هما طرابزون في الشمال وسيليسي أو أرمينيا الصغرى في الجنوب وما حولها أي الوسط كانت دولة سلاجقة الروم، و في الركن الشمالي انحصرت الدولة البيزنطية وشملت شريطا ضيقا حول بحر مرمرة حتى مضيق البوسفور، ومن هذه المعطيات نقول إن كل الظروف كانت ممهدة ومهيأة لظهور دولة قوية تملأ الفراغ السياسي الذي خلقته هذه الدول الهرمة والمتداعية، و كانت هذه الدولة هي الدولة العثمانية[3].

ينتمي السلاطين العثمانيون إلى جدهم الأمير عثمان بن أرطغرل؛ و تعد سلطنتهم التي ظهرت على مسرح الأحداث في القرن الثالث عشر الميلادي دولة حديثة العهد حينذاك، كانت نقطة البداية عندما تقدموا بزعامة أرطغرل بن سليمان شاه لمساندة سلطان قونية السلجوقي علاء الدين الأول ضد الغزاة المغول، فمنحهم علاء الدين جزءا من أراضي آسيا الصغرى مقابل هذه المساعدة وأخذ العثمانيون بقيادة عثمان بن أرطغرل (1299 - 1324م) في التوسع بسرعة كبيرة في الأناضول على حساب الدولة البيزنطية وعلى حساب بقية الإمارات التركية الصغرى هناك[4].

يورد برنارد لويس قائلا:" بدأت الدولة العثمانية كإمارة مجاهدي الثغور؛ ولم يدع رئيسها لقبا أعلى من لقب أمير الثغور (أوج بيك في التركية) أو أمير "الغازين" أي المقاتلين في الجهاد الإسلامي ضد الكفار وهكذا كان الحكام العثمانيون الأوائل قد قنعوا بلقب "الغازي"، " المجاهد"، ففي لوحة

[1] سهيل محمدطقوش، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط١. دار بيروت المحروسة، بيروت، 1415هـ. 1995م، ص14

[2] غربيالغالي ، المرجع السابق ص 12 .

[3] نفسه.ص11.

[4] هاملتون جب ، هارولد بوون، المجتمع الإسلامي و الغرب ، تر: أحمد إيبش، ج ١ ، ط١،.دار الكتب الوطنية ، الامارات العربية المتحدة 1434هـ - 2012 م ، ص 11.

منقوشة من 1337يدعوا الحاكم العثماني الثاني أورخان نفسه ب " السلطان بن السلطان"، الغازي بن الغازي ، وسيد حدود الأفاق بطل العالم"[1].

كان سكان هذه الإمارة يدعون على اسمه عثمانلي؛ والذي عرف في اللغات الأوروبية بـottomans و كان قدر لهم أن يقوموا بأعظم إنجازات، و بالرغم من أن إمارتهم في البداية كانت أصغر حجما و أقل قوة حتى من الإمارات الأخرى المنافسة لها، فإن وضعهم في أقصى الغرب على الحدود الإقليم البيزنطي بثينا Bithyniaعلى مقربة من القسطنطينية أعطاهم أهدافا كبرى و فرصا عظمى وسبب في انجذاب العون والمتطوعين من جميع الأناضول وكانت هذه الإمارة أحسن إمارات الحدود والتي قدم كفاحها المتواصل ضد العدو البيزنطي فرصا مختلفة لأصحاب اتجاهات مختلفة لنيل المجد والغنيمة والاستشهاد وحسب اتجاه كل واحد منهم[2]، بتوسع الممتلكات العثمانية وخاصة بعد ضم جزء كبير من أراضي الأناضول الإسلامية القديمة بدأت الدولة العثمانية تجتاز عدة تحولات رئيسية في كيانها وأهدافها، وغدت يوما فيوما أقل شبها بإمارة رجال الثغور، وأكثر تشابها بالإمبراطورية الإسلامية من الطراز التقليدي[3].

دامت الإمبراطورية العثمانية قرابة خمسمائة سنة، فكانت أطول الدول عمرا، إلا باستثناء عدد قليل من الأسر الحاكمة التي عرفها العالم، وقبل ذلك بقيت بيزنطة و روما على قيد الحياة أكثر من ألف سنة ولكن العثمانيين وحدهم كانوا هم من أمكنهم التفاخر بأن العائلة ذاتها حكمت على التوالي منذ البداية حتى النهاية، ورغم أنه قد يكون هناك إعادة صوغ توفيقي لشجرة العائلة؛ فإن ثمة عدم انقطاع في السلسلة المتصلة الممتدة من عثمان في القرن الثالث عشر إلى آخر السلاطين محمد الخامس في العقد الأول من القرن العشرين، وعلى سبيل المقارنة؛ لم تحكم الأسر الحاكمة الأوروبية أكثر من بضع مئات السنين ولم تحكم مساحة أكبر من إقليم عثماني واحد فحسب[4].

يتمثل النصف الأول من القرن 16 م نقطة تحول تاريخية في غاية الأهمية - سواء بالنسبة للدولة العثمانية أو لأوروبا أو للمسلمين في الأندلس و المغرب العربي، أو بالنسبة لكافة الولايات العربية التي شرعت تتابع في تحت لواء الدولة العثمانية خلال هذه الفترة، فالدولة العثمانية في عصر السلطان سليم الأول(1512 - 1520 م) شرعت تشق طريقها نحو الانفراد بزعامة العالم الإسلامي منذ

[1] برنارد لويس ، استنبول ، ص 60 .
[2] لويس برنارد ، ظهور تركيا الحديثة، ص 35 .
[3] نفسه ،ص 60.
[4] هاملتون جب ، المجتمع الإسلامي، ج1. ص 11 .

أن تمكنت من كسر شوكة الصفريين في معركة جالديران 1517م[1]، والقضاء على دولة المماليك في مصر والشام عقب الانتصار الساحق في معركة مرج دابق 1516 م[2] فكان من إثر ذلك أن انفتح الطريق أمام العثمانيين لبسط نفوذهم على البلاد العربية و انتقال الخلافة الإسلامية إليهم[3].

اختلفت الآراء كثيرا في أسباب فتوحات السلطان سليم في البلاد العربية فالفكرة الشائعة تنحو إلى أن السلطان سليم باتجاهه إلى الشرق قد أدار ظهره لأوروبا، وان ذلك كان يمثل تغييرا واضحا في إستراتيجية الدولة العثمانية، ولكن الواقع في رأينا يخالف ذلك، فما اتجه السلطان سليم إلى الشرق إلى البلاد العربية خاصة إلا ليؤمن ظهر دولته ويحصنها من القوتين الكبيرتين اللتين كانتا متحفزتين للقضاء على دولته وهما : أولا الدولة الصفوية ذات الطابع الثيوقراطي المذهبي التي كان من أهدافها بالطبع مناوشة للدولة العثمانية التي تتزعم المعسكر السني المواجه لها،وثانيا الدولة المملوكية التي رأت بلا شك في الدولة العثمانية القوية خطرا يهدد وجودها نفسه[4].

فالأمر إذا راجع بالدرجة الأولى إلى صراع بين قوى ثلاث في منطقة واحدة و قد تلامست حدودها وظهر الاحتكاك بين قواها فكان لابد لتوفير الحماية والأمان للدولة العثمانية من القضاء على القوى الكبيرة في الشرق، وأهمها قوة سلطنة المماليك في مصر والشام، ثم متابعة الفتوحات في أوروبا بعد تأمين العثمانيين لظهرهم في الشرق، قام بالدور الأول السلطان سليم ثم كانت المهمة الثانية من نصيب ابنه السلطان سليمان الذي بلغت الإمبراطورية العثمانية ذروة أو جعلها و قوتها وعهدها الذهبي في أيامه [5].

وخلال عهد السلطان سليمان الذي دام أكثر من أربعين عاما بلغت الإمبراطورية ذروة مجدها، ذلك أن الدولة العثمانية بدأت تتجه نحو الزعامة العالمية[6]، إذ امتدت رقعتها في أوروبا بعد انتصارات جديدة كما تأسست القوة البحرية العثمانية في شرقي البحر الأبيض المتوسط بعد الاستيلاء على جزيرة رودس Rhodes في عام 1522م، وفتح إخضاع بلغراد في عام 1521 م والانتصار العظيم في معركة موهاكسMohacs الطريق لفتح المجر و صراع المرير المتواصل مع آل هبسبرجHapsburgs

[1] *انظر الخريطة ص 83.*

[2] *انظر الخريطة ص84.*

[3] محمد دراج ، الدخول العثماني إلى الجزائر و دور الإخوة بربروس (1512هـ/1543م) ،ط1 ،الأصالة للنشر و التوزيع ، الجزائر 1433هـ -2012 م ،ص 5.

[4] هاملتون جب ، المجتمع الإسلامي، ج1. ص 8 .

[5] .محمد دراج ، المرجع السابق.، ص5

[6] نفسه ، ص 5.

للسيادة على أوروبا الوسطى و في الجنوب توغلت الجيوش العثمانية إلى جنوب الجزيرة العربية و قرن افريقية .

وفي الشرق كان الحكم العثماني قد استقر في بغداد ولبعض الحين في تبريز، وفي الغرب أوصلت دول القراصنة على شواطئ الشمال الإفريقي والتابعة حينئذ للدولة العثمانية القوة العثمانية إلى البحر الأبيض المتوسط العربي، بل عبر مضيق جبل طارق في بعض الحملات، وفي سنة 1529 م حاصر جيش عثماني مدينة فيينا [1].

كما تمكن العثمانيون من التصدي للقراصنة البرتغاليين الذين ما فتئوا يغيرون على السواحل الإسلامية في شرق إفريقيا وجنوب الجزيرة العربية، فضلا عن اعتراضهم للسفن التجارية وكذا سفن الحجاج القادمة من الهند، ولتأمين السواحل الإسلامية هناك قامت الدولة العثمانية بتأسيس ولايتي الحبشة وعدن؛ فتسنى للعثمانيين -على إثر ذلك- أن يسيطروا على مضيقي باب المندب وهرمز، وبعث تجارة الهند التي تعثرت منذ وصول البرتغاليين إليها[2].

وفي عام 1553 م قاد السلطان سليمان جيشا إلى إيران، وفي عام 1555 م حاول أسطول عثماني الاستيلاء على مالطة، ولم يدرك أحد لزمن طويل أن كل هذه الانجازات كانت أعلى مد للتيار العثماني [3].

[1] برنارد لويس،استنبول، ص ص 56،55

[2] محمد دراج ، المرجع السابق ، ص 6 .

[3] برنارد لويس ، استنبول ، ص 56.

المطلب الثاني : ضريبة الدم (الدوشرمة)

لقد كان الطابع العسكري من خصائص الدولة العثمانية؛ حيث اشتهر الأتراك بأنهم فرسان بارعون جريئون إلى حد التهور على الرغم من أنهم أثبتوا قوتهم على المرتزقة البيزنطية في ميدان القتال إلا أن حرب الحصون والمراكز المنيعة تتطلب مقدرات عسكرية أخرى والحق أن الحاجة كانت أمس ما يكون إلى إنشاء جيش من المشاة[1].

في هذا السياق يقول هاملتون جب في كتابه المجتمع الإسلامي والغرب: "أن الدولة التي أسسها عثمان في السنوات الأخيرة من القرن الثالث عشر هي عبارة عن مقاطعات تركية صغيرة، برزت في آسيا الصغرى عند تراجع سيطرة المغول أو التتار عليها، فتقع على ما كان يعرف آنذاك بحدود الدولة الإسلامية، وكانت الأراضي المحيطة بها داخل نطاقها أو خارجه في حالة من الاضطراب، وكان من الواضح على العثمانيين أن سيطرتهم لن تستمر إلا بقوة السلاح؛ ولن يستطيعوا الدفاع عن أراضيهم إلا بتوسعها، بفضل هذا الاتجاه الذي اتخذته التوسعات؛ تأثرت الدولة العثمانية النامية بالأساليب البيزنطية من جهة، والأهم من ذلك هو أنها تمكنت من صيانة شخصيتها العسكرية إلى الأبد. وبما أن حدود الإسلام قد تقدمت إلى الأمام، فقد تزامن ذلك مع تقدم مركز الدولة الجديدة ، وبقيت بذلك منظمة حدودية بما يتطلبه واجب التأهب العسكري"[2].

لقد دفعت ضرورة إجراء الحصارات المستمرة والطويلة الحاكم العثماني أورخان إلى تزويد جيشه بالمشاة الذين تم تجنيدهم، وكان يتكون من المتطوعين وعد ذلك الجيش المنظم[3]، وكان يخدم فيه الفلاحون ولا تتم خدمتهم العسكرية إلا عند سير الحملة، وبعد انتهاء الحرب يعودون إلى ممارسة الزراعة كما كان المجندون في المشاة يعفون من الضرائب، وكان يخصص لهم قطعة من أرض يقوم الفلاحون بزراعتها ويكلفون بحفظ الأمن في القرى، وفيما بعد أدى اهتمام السباهيين بالأرض وتمسكهم بها أكثر من الحرب إلى اعتماد الدولة على الانكشارية أي جيش الانكشارية[4].

نجد أن كلمة انكشارية مكونة من مقطعين: الأول يكي yeniبالنون الخيشومية بمعنى جديد؛ جري cery بالجيم المشوبة بمعنى العسكر، فيأتي المعنى الكامل العسكر الجديد أي الجيش الجديد[5]،

---

[1]- أماني الغازي، المرجع سابق، ص ص47،48

[2] هاملتون جب ، المجتمع الإسلامي ،ج1،ص ص93،94

[3] إيرينا بيروسيات، الانكشاريون في الإمبراطورية العثمانية، ط1. مركز جمعة الماجد، دبي، 2006 م، ص 15،16 .

[4] اسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي، ط2. الرياض، 1995، ص 50.

[5]– زين العابدين شهاب الدين نجم، الوظائف العسكرية والتشكيلات القتالية في العهد المملوكي والعهد العثماني، مجلة كلية خالد العسكرية، العدد 39، السنة العاشرة، 1413 هـ ،ص 29.

وتأتي أيضا بمعنى الجند الجديد[1]. وإذا كان حرف الكاف في اللغة التركية ينطق نونا فإنه في اللغة الفارسية يلفظ تاء وشينا، وكذا كلمة يكي تأتي بمعنى حديث لهذا يطلق عليهم أيضا العسكر الحديث[2]. وقد أكد حليم بك أن العثمانيين أنشؤوا جيشا من المسلمين يدعى "يكي جري" وهم العسكر الجدد،[3] وعليه فإن كلمة إنكشارية هي "يكي جري" بالتركية ولكنها حرفت عندما ترجمت للعربية، وقد يكون هذا التعريف جاء نتيجة اختلاف نطق الحروف العربية في اللغة التركية عنها في اللغة العربية.

يقدم الصفصائي أيضا شرحا للفظ الانكشارية من خلال كتابه فيقول :" جاء لفظ الإنكشاريةyeniceri في بعض المصادر بمعنى مصطلح عسكري؛ أطلق على الجنود الموظفين في الدولة العثمانية فيها قبل سنة 1241هـ/1826م وكانوا يتبعون السلطان مباشرة ومرتبطين به شخصيا يأتمرون بأمره، ولا يعرفون أبا سواه ومن هذا المنطلق جاء لقب عبيد الباب"[4]. أما عن معنى لفظ الجيش الجديد فهذا يعني أنه كان هناك نظاما حربيا سائدا قبله أقدم منه وهذا هو التجمع الاختياري؛ وقد تغير هذا المفهوم بعد أن قام السلطان محمود الثاني بإنشاء العساكر المنصورة المحمدية؛ والتي أطلق عليها مسمى "الجيش الجديد" أو النظام الجديد[5].كذلك قد حدث في عهد السلطان سليم الثالث أثناء محاولات إصلاح الهيكل العسكري للدولة العثمانية؛ أن قام بإنشاء فرقة جيش مدربة على الطريقة الحديثة وأطلق عليها النظام الجديد؛ وهكذا أطلقت الكلمة حتى بوجود الانكشارية لأنه لم يكن قد قضي عليها[6].

هناك مصطلح آخر له علاقة بالانكشارية وهو "دوشرمة" وهي كلمة تركية تكتب "Dos:Drme" بمعنى الجمع والاقتطاف[7]، وفيما سبق كانت تكتب بزيادة الفاء ولكن الأصح أنها تكتب بدون الفاء[8]، وتطلق على جمع الجنود وإحضارهم لأداء الخدمة العسكرية في الجيش العثماني، واستخدمت الكلمة للجندي المجلوب[9]، وقد أطلق المستشرقون وأعداء الدولة العثمانية هذا المسمى بهدف تشويه هذا النظام كما سيتضح بعد ذلك.

---

[1]– فون هامر، التاريخ العثماني الكبير، دار النشر، مج دال، اسطنبول، 1989، ص 29.

[2]– عبد العزيز محمد عوض، بحوث في تاريخ العرب الحديث، ط1، مكتبة المحتسب،عمان، 1403هـ/1983 م، ص 64.

[3]– ابراهيم حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، المعروفة بكتاب التحفة الحليمية، ط1. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت 1408 هـ/1983م، ص 36.

[4]- الصفصائي أحمد المرسي، اسطنبول عبق التاريخ وروعة الحضارة، ط1. الأفاق العربية، القاهرة،1419هـ/1999، ص 55.

[5]- عبد اللطيف لبحراوي، من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم، مجلة الدائرة، الرياض، العدد الرابع، 1408 هـ/1988 م، السنة 13، ص 204.

[6]- زياد أبو غنيمة، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، ط2، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، 1406 هـ. 1986 م ،ص 126 .

[7]- أماني لغازي، المرجع السابق، ص 600.

[8]- زياد أبو غنيمة ،المرجع السابق، ص 126.

[9]- أماني الغازي ،المرجع السابق، ص 601.

"Dersime" وهي أيضا مصطلح عسكري أطلق على أبناء المسحيين المشردين في الشوارع، وكانوا يجمعون من طرقات البلاد المسيحية التي تم فتحها حديثا، وفقد هؤلاء الأطفال ذويهم الذين قتلوا في الحروب أو هربوا مخلفين أبناءهم خلفهم،وخاصة من بلاد البلقان وذلك بهدف الالتحاق بالإنكشارية والجيش عموما أو العمل في السرايا[1]. كذلك تطلق على الأطفال اللقطاء والذين تلدهم أمهاتهم في السر فيصبحوا مشردين في الشوارع أو يوضعون في الطرقات، أو على أبواب المساجد وأبواب الملاجئ ثم أصبحت تطلق على كل طفل لقيط أو حتى مشرد في الشارع لأي سبب آخر، وقد ساد في بلاد العرب إطلاق كلمة داشر على الرجل الذي لا يعرف له ولي أمر يرجع إليه في شؤونه، كذلك حال المرأة فيقال عليها امرأة داشرة أي لا يعرف لها ولي أمر ترجع إليه في شؤونها[2].

كلمة ديوشوم تعني أيضا في الفارسية جمع الثمار والتقاطها[3]. كما فسرت بمعنى الإسقاط أو السقوط وهي كلمتان الأولى تعني إسقاط الأم لجنينها قبل إتمام شهور الحمل التسعة، وهي لا تطلق على المواليد وإنما على الذين يموتون في الشهور الأولى للحمل، أما السقوط فهو يعني سقوط شيء من علو سواء كان إنسانا أم جمادا، وتطلق على الشيء المعنوي كالسقوط في هاوية الرذيلة أو ما شابه ذلك من تغيرات[4].

إن تجنيد الدفشرمة لم يتم إلا بعد مرور أكثر من نصف قرن على تأسيس الأوجاق أي الفيلق الإنكشاري؛ ويتكون الأوجاق من ثلاثة فرق مختلفة هي السكمن، والجماعة والبولوك، وكانت خاضعة لآغا الإنكشارية، كما شغل الآغا منصب رئيس الشرطة وكان من المؤهلين لمنصب الوزير، وكان يختار من بين ضباط الفيلق نفسه إلى غاية عهد السلطان سليم الأول[5]، الذي سعى إلى لحج جموحهم لكثرة التمردات فأصبحوا يعينون من رجال القصر[6].

قسم هؤلاء المجندين للالتحاق بعدة أقسام، فمنهم من عين في قسم أوجاقالبوستانجية وشكلوا أيضا جزءا من خدم قصر السلطان وآخرون وضعوا في أوجاقالبالطه جيه، و هناك أخرون acemioğlansالذين منحوا وظائف في موقد البحرية فخدموا في العاصمة وغاليبولي، أو في مكاتب

[1]- الصفصائي أحمد المرسي، المرجع السابق، ص 55.

[2]- زياد أبو غنيمة، المرجع السابق، ص 127.

[3]- محمد الأرناؤوط، دراسات ووثائق حول الدوشرمة، ط١، دار قدسية، عمان، 1991، ص 35.

[4]- زياد أبو غنيمة، المرجع السابق، ص 126، 127.

[5] سليم الأول(918-926هـ - 1512-1520م): تولى السلطنة العثمانية وعمره أربعون عاما ولقب بـ "ياووز" أي شديد القسوة ابن السلطان بيازيد الثاني تنازع مع أخيه الأكبر على ولاية العرش، لم تكن له سياسة الفتوح في أوروبا وإنما اصطدم مع الصفويين والأمويين في إيران والبلاد العربية، ينظر: سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 147.

[6] هاملتون جب، المجتمع الإسلامي، ج ١،ص 120، 112.

العاصمة في استانبول، لكن كان مصير الغالبية منهم هو الانضمام إلى فرقة المشاة في الفيلق الذي أصبح يعرف بجيش الانكشارية[1].

لايزال تاريخ تأسيس الإمبراطورية موضوعا للجدال، ولكن من المؤكد أنه كان في أصوله دينيا أكثر من أن يكون مشروعا لأسرة حاكمة، وبمرور الوقت وحكم السلاطين لمناطق أوسعاكتسب المظهر العائلي مكانا متفوقا، وفترت حماسة الشعب للفتح وتضاءل عدد المتطوعين[2] للجهاد؛ لهذا السبب ولكثرة القتلى والضحايا؛ بدأت اهتمامات السلاطين تفترق على اهتمامات الشعب المسلم، وشعرت الأسرة الحاكمة بالحاجة إلى قوات خاصة لحماية العرش، وبما أن الشريعة ترى أن الإنسان على نوعين : حر وعبد ارتكزت على قاعدة أن الفئة التي يمكن أن تكون من العبيد هم غير المسلمين الذين يقطنون دار الحرب، أما من يولدون عبيدا فهم موجودون في دار الإسلام ويمكن بيعهم وشرائهم[3].

وهنا مبدأ آخر فيه الشريعة يمنح الإمام خمس الغنائم بما فيها من الأسرى، التي يتم الاستيلاء عليهم في الحملات ضد الكفار، وكان السلاطين منذ البداية يعدون أئمة يحق لهم التمتع بهذه المزية،وبهذا أوجدوا لديهم أعدادا كبيرة من العبيد الأسرى تحت تصرفهم، و بما أن عدد المتطوعين للجهاد قد تناقص، فقد فكروا في تحويل من يصلح من الأسرى ليصبحوا جنودا، في ذلك الوقت كانت القوات العثمانية تصنف ضمن فئتين، أولئك الذين يتقاضون أجورهم من خزينة السلطان مباشرة، وأولئك الذي يمنحون بعض الأراضي مع حق جباية الضرائب والمستحقات من سكانها، وبالرغم من أن أفراد الفئتين كليهما من المسلمين الأحرار - فقد توقفوا عن الدخول في الخدمة بعد أن أصبح عدد العبيد فيها كبيرا، وبهذا بدأت فئة ممن يتقاضون أجورا ثابتة تقتصر تدريجيا على العبيد وهم ملك خاص للسلطان[4].

إن هذه السياسة التي اتبعتها الأسرة الحاكمة مستقاة من التقاليد الموروثة عن أسلافهم السلاجقة؛ وإن شراء العبيد وتوظيفهم كجنودهم لم يكن من ابتداع العثمانيين، بل كان شائعا أيضا لدى الخلفاء العباسيين، أما العثمانيون فقد جندوا لديهم ما تبقى من أسرى الحرب؛ ولم تعد هذه القوة كافية لإحلال النظاموتوسعة رقعة البلاد معا، لذلك عمد السلاطين إلى اللجوء إلى طريقة أخرى

---

[1] نفسه، ص 114.

[2] المتطوعين: هم نوع من العساكر المستخدمين في بعض الولايات العثمانية ولا سيما العثمانية مقابل أفراد الجيش الانكشاري، كان يتم تحديدهم من الشباب وعلى وجه الخصوص الذين أعلنوا إسلامهم بعد ترك الديانة النصرانية ، كانوا يمنحون مبالغ مالية قيمة، ينظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض، 1421هـ. 2000م، ص 200.

[3] *هاملتون جب، المجتمع الإسلامي، ج1. ص94*

[4] هاملتون جب، المجتمع الإسلامي، ج1. ص 96

لم تكلفهم شيئا لكنها كانت مناقضة لأصول الشريعة الإسلامية، لقد قرروا القيام بتجنيد دوري للذكور غير المتزوجين من رعاياهم المسيحيين الأرثوذكس فيأخذونهم من أبائهم في عمر يتراوح بين العشرة والعشرين، و يجعلونهم كالعبيد ويدربونهم على العمل في خدمة الدولة [1].

لموضوع الإنكشارية في الدولة العثمانية عدة آراء حول كيفية تشكيل هذا الجيش وطريقة جمع الغلمان؛ وذلك بعد فتح الأرشيف العثماني أمام كل الباحثين فسح المجال أمام العديد من المستشرقين المهتمين بالتاريخ العثماني بصفة عامة، وبالجيش الإنكشاري بصفة خاصة فنجد من أبرز هؤلاء المستشرقين البريطانيين أمثال برنارد لويس، هاملتون جب، أرنولد توينبي ...إلخ

لقد تباينت كتاباتهم حول هذا الموضوع فمنهم من جاءت كتاباته متحاملة مشوهة مليئة بالكذب والافتراء الصريح دون تغليف، أما البعض الآخر فاتسمت موادهم بالدس بين الكلام دون الاستناد إلى وقائع تاريخية صريحة لإثبات أقوالهم[2].

يرى أرنولد توينبي: " أن نظام الإنكشارية كان يستمد أتباعه الجدد من مختلف مصادر التوريد غير المسلمة، من وراء الحدود بواسطة الأسر في الحرب والشراء من الرقيق، أو الانضواء الإداري في الصفوف، ومن داخل الإمبراطورية عن طريق جمع الأطفال دوريا بطريقة القرعة، و كان المجندون يخضعون بعد ذلك لنظام تربوي محكم مع تطبيق مبدؤه الاختياري والتخصص في كل مرة، وكان النظام صارما والعقاب وحشيا . بينما كان يوجد في الجهة الأخرى، استثارة للطموح مستمرة و معتمدة، وكان كل طفل ينخرط في سلك أسرة رقيق الباديشاه العثماني، على علم باحتمال تنصيبه وزيرا أكبر وأنه على بطولته، كما يبديها تدريبه يتوقف تحقيق مطامعه"[3].

كما يذكر أرنولد توبني نقلا عن العالم الفليمنكي والدبلوماسي basbeegcligierabselinde الذي كان سفيرا لبلاط هابسبرغ[4] لدى سليمان الأعظم[5]: " حسدت الأتراك على نظامهم هذا، إنه أسلوب الأتراك دائما عندما يوفقون إلى اقتناء رجل كريم الخصال إلى حد غير عادي، فنجدهم يطربون

---

[1]، نفسه،ص 96 .

[2] أمينة سيحاوي، المرجع السابق، ص 269.

[3] أرنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، تر: فؤاد محمد شبل، تق: عبادة كحيلة شارع الجلاية بالأوبرا، ج1، الجزيرة، القاهرة، 2011 م، ص 295 .

[4] هابسبرغ : اكبر وأقدم أسرة حاكمة في أوروبا، أسست إمبراطورية روما المقدسة ما بين (1273م - 1438م) ثم حكمت إسبانيا ومعظم ممالك أوروبا ما بين (1516م – 1700م) يعتبر شارل الخامس الملقب بشارلكان أعظم أباطرة هذه الأسرة، إذ شمل نفوذها كامل أوروبا تقريبا في عهده، ينظر: محمد دراج، المرجع السابق، ص 24.

[5] سليمان الأعظم: وهو سليمان القانوني ولد في مدينة طرابزون، ارتقى عرش السلطنة في السادسة والعشرون من عمره (927 هـ - 1520 م) وشهدت فترة حكمه عدة أحداث أهمها: فتح رودس وبلغراد 1521م وحصار فيينا، واعتبر عصره هو العصر الذهبي للدولة العثمانية حيث شهدت سنوات حكمه توسعا عظيما وأصبحت الدولة العثمانية منتشرة في ثلاث قارات عالمية، ينظر: فريد بك المحامي، ص 198، 199.

ويسرون غاية السرور، كما لو أنهم قد عثروا على لؤلؤة غالية الثمن، ويبذلون في سبيل إبراز جميع مواهبه كل ما يسعهم من جهد وفكر ولاسيما إذا رأوا فيه كفاية عسكرية، ولا ريب أن طريقتنا الغربية تختلف عن ذلك كل الاختلاف، إذ نسر في الغرب أن حصلنا على كلب أو شاهين أو حصان ممتاز، ولا ندخر أي شيء في سبيل الوصول بهذا المخلوق إلى أسمى درجات الكمال التي يقيض لفصيلته أن تبلغه"[1].

وتحدث أيضا على هذا النظام المستشرق البريطاني هاملتون جب الذي قال أن الجيش الانكشاري تكون عن طريق انتزاع الأطفال النصارى من أهلهم وإجبارهم على اعتناق الإسلام بموجب نظام أو قانون كان يدعى الدوشرمة، وزعم أن هذا النظام كان يستند إلى ضريبة إسلامية شرعية أطلق عليها اسم ضريبة الغلمان وهي ضريبة تبيح للمسلمين العثمانيين أن ينتزعوا خمس عدد أطفال كل مدينة أو قرية نصرانية.[2] كما يقول أن سبب إنشاء جيش الإنكشارية هو أن المحاربين الأوائل لم يكونوا سوى رجال عصابات وقطاع طرق لذا لم يكن من السهولة الاستفادة منهم، فسعى السلطان للتخلص منهم واستبدالهم بعدد وفير من الغنائم والأسرى الذين جاءوا إليه من أولى حملاته على أوروبا، وأضاف أن هذا الأسلوب الجديد الذي ابتكره آل عثمان لم يكن يكلف السلطان شيئا من المال ولكن العيب فيه هو مخالفته لأحكام الشرعية كل المخالفة[3].

ولبرنارد لويس رأي آخر وكان التناقض واضحا في ذلك أن المجاهدين كانوا من الأتراك أنفسهم ولقرون عديدة ثم استخدموا المسيحيين اليونان الذين أسلموا وصاروا مجاهدين بارزين، أما عن الأطفال فقد ذكر أنهم كانوا يعملون خدما في القصر السلطاني، إذ مع مرور الوقت صار نظام الإنكشارية المشكوك في شرعيته نظاما مقبولا عند القرى المسيحية[4].

أما روبير مانتران فقد استفاض في الحديث عن ضريبة الغلمان؛ لدرجة أنه قال أنها ارتكزت بشكل أساسي على أسرى الحروب، والذين جمعوا بطريقة أكثر تحديثا من العشر[5] العائد للسلطان، إضافة إلى شرائهم من أسواق النخاسة (الرقيق)، ثم أقل عدد كان يأتي من نظام الدوشرمة، كما أضاف أن الأطفال المسلمين خضعوا لهذه الضريبة باستثناء أهل البوسنة والهرسك الذين اعتنقوا

---

[1] أرنولد نوينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج1، ص 296.

[2] - هاملتون جب، المجتمع الإسلامي، ج1. ص ص 106، 107.

[3] *نفسه ،107.*

[4] *.امينة سيحاوي ،المرجع السابق ،ص270.*

[5] العشر: ليس العشر وإنما سهم من الخمس وهو من حق ولي الأمر، ينظر: روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، ج1، ط1. دار الفكر لدراسات والنشر، القاهرة، 1993 م، ص 255، 258 .

الإسلام ،وأوضح أنه من شدة قساوة هذه الضريبة على الأسر المسيحية؛ فقد صورها التراث الشعبي رمزا لصرامة الحكم العثماني كما نقل روبير مانترون على ستيفان جيرلاش أن عددا من المسيحيين كانوا يلجئون إلى تزويج أبنائهم وهم في الثامنة أو التاسعة من العمر حتى يعفوا من التجنيد، لكنه يناقض نفسه إذ يقول أن هناك شهادات تكشف عن تذبذب هذه الظاهرة، لأن هذا التجنيد في نظره يكفل لابن الأسرة مستقبل مشرق، حتى أن المسلمين كانوا يستبدلون أبناءهم بأبناء المسيحيين حتى يتيحوا لهم هذه الفرصة السعيدة[1].

يذكر المؤرخون أن السلطان أورخان (1326م-1359م) قد جند في بادئ الأمر ألفا من هؤلاء تجنيدا دائما ووضع قانونا خاص بهم صيغ في أربع عشر مادة تضمنت النظام الداخلي للجيش، وتنظيم علاقات أفراده ببعضهم البعض، كما نصت على الطاعة المطلقة والانقياد التام لأول مرة.[2]كما كانت هذه الفرقة تخضع لتدريب خاص في المدارس العسكرية ومدارس القصور السلطانية، ويتخرجون منها حسب مؤهلاتهم جنودا في وحدات الانكشارية أو خداما في القصر أو موظفين كبار في حكومة السلطان، وعلى أي حال فإن الانكشارية لم يكن لهم في القرن الرابع عشر تلك الأهمية التي أصبحت لهم فيما بعد ولم ينظم قانون التجنيد الإجباري المسمى بالدوشرمة إلا في القرن الخامس عشر في عهد السلطان مراد الثاني (1421م1451 م).

وقد حدث في تلك الفترة أن انضوى الانكشارية تحت لواء الطريقة البكداشية؛ وذلك لأن الدولة العثمانية ارتبطت ارتباطا وثيقا بالطرق الصوفية، بحيث كان هناك أشخاص بارزين من الدراويش أصحاب الطريقة البكداشية[3]، ومن بينهم الشيح بكتاش صاحب هذه الطريقة التي كانت منتشرة في المنطقة آنذاك فطلب منه السلطان أورخان أن يبارك الجيش الجديد، فأعطى كل واحد منهم قطعة من طرف عباءته فعلقها الضباط على رؤوسهم تبركا بها.[4]

والدليل على وجود علاقة وثيقة بين الإنكشارية والطريقة البكتاشية هي أن جميع حركات العصيان التي كانت تقوم بها الإنكشارية نجد أن شيوخ البكتاشية كانوا يساندونهم فيها[5]. وكان الإنكشاريون يظهرون نحو شيوخها طاعة تامة وصلت إلى حد الولاء العميق، ولذلك كان يطلق على

[1] امينة سيحاوي ،المرجع السابق، ص ص 255 -258.

[2] - علاء موسى ص 108.

[3] - الطريقة البكتاشية، هي طريقة صوفية أسسها الحاج بكتاش ولي في النصف الثاني من القرن 13 م، ينظر: خليل إنالجيك، المرجع السابق، ص 334.

[4] - عاشق باشا زاده، تواريخ آل عثمان، ، استانبول، 1332 هـ ، ص ص 204،206.

[5] - نفسه، ص 205.

الإنكشارية بعسكر البكتاشية.[1] وكان الهدف من هذا الجيش مواصلة الجهاد البيزنطي وفتح المزيد من أراضيهم والفتح في البلقان لنشر الإسلام في تلك البقاع[2].

كانت الدورة التدريبية فكرية وجسمية صارمة على جيش الانكشارية[3]، المكون كما قلنا سابقا من رعايا السلطان المسحيين الأرثوذكس، وأخضعوا ليكونوا عبيدا بشكل غير قانوني، كما يذكر جب هاملتون أن هذا الجيش بكل تقسيماته هو من البداية القابي قولي[4]، ثم تفحص كفاءاتهم أثناء الدورة التدريبية ويعطى لكل منهم منصب مناسب له ، كان أكفؤهم جسديا و فكريا بالأخص كانوا يختارون ليصبحوا خدما للسلطان içoğlans (ايج أوغلان) ويؤخذون للتدريب إما في أحد القصور الملكية القديمة في بورصة Brusa أو أدرنة Adrianople ، أو في مدارس خاصة في غلطة galata وفي استانبول نفسها ومن ثم ينتقلون إلى قصر السلطان حيث يرتقون، وكل حسب مزاياه في درجات مختلفة من الخدمة[5].

يذكر هاملتون جب أن الدولة العثمانية اعتمدت على النظام الإقطاعي من أجل إعانة الفرسان والخيالة الذين أطلق عليهم مصطلح السباهية[6]، ووضعت هذه القاعدة لتشجيع السباهيين للقيام بواجباتهم وكانت الإقطاعات ملكا لذوي الرواتب، وكانوا يمنحون قطعة أرض صغيرة من أجل تأدية خدمة السلطان بينما هناك فرقتان على الروملي هما: الطوينقووالطوغانجي ويعود تنظيم أولئك العسكر إلى القرون الأولى من الإمبراطورية، لكن أهميتهم تراجعت مع تأسيس ونمو جيش العبيد في القرن 16م[7].

وفي نفس السياق نجد المؤلفين الآخرين يذكرون بأن الدولة العثمانية كانت دولة عسكرية، وأن أساس الجيش العثماني هم جنود السباهيةأو الخيالة وهم من أقدم أنواع الجند،يختلفون عن الانكشارية وغيرهم إذ أنهم لا يقيمون في لثكنات خاصة، فقد كان معظمهم يعيشون في القرى، وكان الخيال من أشهر رماة السهام إلى غاية القرن 16 م حينما جرت محاولة إمدادهم بالأسلحة النارية؛ إلا أنها لم تستعمل إلى غاية نهاية نفس القرن ، وهذا مما يؤخذ على الدولة العثمانية، وقد بلغ عدد الخيالة في

[1]- هاملتون جب ، المجتمع الإسلامي، ج1، ص ص 121،125.

[2]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 26.

[3] قابي قولي: خادم الحكومة أو الدفشرمة، أحد العبيد المماليك الذين يعملون في الجيش أو الإدارة أو في خدمة البلاط. ينظر خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر: محمد الأرناؤوط، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002، ص 40.

[4] هاملتون جب ، المجتمع الإسلامي ، ج 1،ص 113.

8- نفسه ص112.

[7]هاملتون جب ، دراسات في حضارة الإسلام، تر: إحسان عباس ومحمود يوسف نجم، و محمود زايد، دار العلم للملايين،1779 م ، ص 100 ،110.

عهد سليمان القانوني ما بين 10 ألاف و 20 ألف فارس، أما حملة البنادق والطوبجية[1] فكانوا يعتمدون على التزويد بالبارودوالقذائف التي لم تكن متوفرة محليا، وكان يرأس الجيش العثماني في البداية كما هو الحال في الشعوب البدائية [2].

يكاد يجمع جميع المستشرقين على نص واحد في تشويه الانكشارية وأصلهم وطريقة جمعهم وافتراض ضريبة على الغلمان، وأن الدولة مارستها لمدة طويلة من الزمن، ولا يوجد ولم يورد أحد المستشرقين دليلا واحدا أو مرجعا موثوقا ذكر هذه الضريبة التي تعتبر من أخبث الافتراءات التي أطلقها المستشرقون بتاريخ الدولة العثمانية والتي تزعم أن العثمانيين كانوا ينتزعون الأطفال الصغار من أحضان أمهاتهم فيما يسمى بضريبة الغلمان أو ضريبة اللحم البشري، ثم يكرهونهم على اعتناق الإسلام لأن الإسلام لا يبيح لغير المسلمين حمل السلاح بموجب قانون يدعى نظام الدوشرمة ومن ثم الالتحاق بالجيش العثماني ،وقد ادعىالمستشرقون أن هذه الضريبة فرضتها الدولة العثمانية على الرعايا المسيحيين الذين اعتنقوا المذهب الأرثوذكسي مثل الجزية حيث يتم أخذ أطفال في سن صغيرة من أسر الفلاحين المسيحيين وبعد تربيتهم في الدوشرمة يتم إلحاقهم بالانكشارية حتى يحاربوا من أجل الدولة العثمانية.[3]

تعد هذه الأقوال مجرد كذبة ألفها هؤلاء المستشرقين على ضريبة الدم في الدولة العثمانية أو بصفة عامة على الجيش الإنكشارية وطريقة جمع هذا الجيش، وفي الحقيقة لم يكن قانون الدفشرمة إلا اهتمام من الدولة العثمانية بالمشردين من الأطفال النصارى الذين خلفتهم الحروب المستمرة أيتاما أو مشردين.[4] ونظرا لظروف الفتح الإسلامي العثماني للمدن البيزنطية نجد عدد كبيرا من الأطفال فقدوا آباءهم وأمهاتهم وأسرهم في المعارك التي أصابت الفتح، أو أثناء هروب الأسر من مدينة إلى أخرى وفضلا عن كثير من العائلات المسيحية تعرضت للجوع بالتالي بقي هؤلاء الأطفال مشردين في الطرقات وأيتاما من دون أي مأوى يجمعهم؛ فسارعت الدولة العثمانية إلى احتضان هؤلاء الأطفال وتأمين مستقبل كريم لهم في ظل الإسلام[5].

---

[1] الطوباجية: الاسم العام الذي أطلق على الأسلحة النارية كافة، التي تطلق قذائف حديدية أو حجرية، وقيل أن اختراع المدافع في الدولة العثمانية، يرجع إلى ما قبل معركة كوسوفو الأولى عام 1389 م حيث استخدم فيها المدفع ثم تطور في عهد السلطان محمد الفاتح، ووصل إلىأوجه وغيرها، ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق،ص 148، 149.

[2] زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ الدولة العثمانية، ط1. دار المسيرة للنشروالتوزيع، عمان، ص 224.

[3] - أرنولد تويني، مختصر دراسة للتاريخ، ص 90.

[4] علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 68.

[5] زياد أبو غنيمة، المرجع السابق، ص ص 128،129.

تلاعبت آراء هؤلاء المستشرقين بصورة جمع الغلمان وصوروها على أنها جزية فرضتها الدولة العثمانية على الأمة المهزومة تأخذها من أبناءها إلا أن الأدلة والبراهين تدل على عدم صدقهم[1]، وخير دليل على ذلك أن تصورهم كان خاطئ فالدولة العثمانية أو السلاطين العثمانيين في نفوسهم حب الإسلام ولذلك قاموا بتطبيق الأحكام الشرعية وبنشر الإسلام في أصقاع جديدة ولذلك قاموا بأخذ الجزية من أهل الذمة على حسب المدينة التي فتحوها، وذلك مقابل تركهم لإقامتهم في ديار الإسلام كل عام ولقوله تعالى: { حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُون}[2]وإن التزموا بدفع الجزية يحرم قتالهم والاعتداء عليهم وهي تأخذ من أموال القادرين فقط ولا تجبى على امرأة أو صبي آو فقير.[3]ضف إلى ذلك أن الدولة العثمانية لم تستخدم سياسية إكراه الأطفال على الإسلام وذلك لقوله عز وجل: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ}[4].فمن مبادئ الإسلام والسلاطين العثمانيين كذلك لا يحق لهم إجبار أحد على اعتناق الإسلام واتضح الأمر في الآية السابقة الذكر، وتوجد وثيقة تدعم المسألة كانت مجرد جمع جنود قادرين على حمل السلاح وإرسالهم إلى أدرنة للانخراط في سلك الانكشارية، وذلك في إطار التجنيد الإجباري المتبع في أغلب دول الإسلام عبر التاريخ وليس انتزاع الأبناء من ذويهم.[5]

وهذا يدل على أن عملية انتزاع الأطفال من أهاليهم لم تكن بتلك القسوة التي تحدث عنها هؤلاء المستشرقين، لأنه ليس من المعقول أن السلطان أورخان المتدين التقي يوجب الإسلام بالإكراه على الأطفال لمجرد أنه حصل عليهم، وقد كان معروفا أيضا عن أخيه علاء الدين العلم الواسع بالشريعة والتعفف عن الدنيا وزينتها؛ فيكيف يشير أو يوافق لأخيه أورخان على شيء مخالف للشريعة الإسلامية[6].إضافة إلى ذلك هناك حقيقة مهمة جدا أغفلها المستشرقون تماما ألا وهي أن العائلات المسيحية كانت تتسابق لتقديم أبنائها طواعية للانخراط في الدوشرمة والدليل على ذلك أن الجيش قد زاد عدده بسرعة فائقة في أول أمره وذلك لتطوع كثير من المسيحيين أنفسهم الذين اعتنقوا الإسلام؛ حيث وجدوا هذا أفضل وسيلة للتخلص من خطر الهلاك جوعا أو بسبب اليتم.

[1] أماني الغازي، المرجع السابق ،ص 115.

[2] - سورة التوبة، الآية 29.

[3] - عبد اللطيف البحراوي، المرجع السابق، ص ص 204،205.

[4] - سورة البقرة الآية 256.

[5] - وثيقة 8265، أرشيف رئاسة الوزراء باسطنبول خط011011 نقلا عن أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، الدولة العثمانية من خلال كتابات المستشرقين، المرجع السابق، ص 139.

[6] - زيادة أبو غنيمة، المرجع السابق، ص ص 144،153.

المطلب الثالث:الحرملك

يعد موضوع الحريم العثماني من أكبر موضوعات التاريخ العثماني صعوبة في البحث وجمع المعلومات الصادقة؛ وذلك بسبب افتقاره إلى المعلومات الصحيحة من مصادر موثوقة بالإضافة إلى أن موضوع المرأة في المجتمعات الإسلامية من أكثر النقاط المثيرة للجدل والحساسية، ويعود ذلك إلى التهميش الكبير لدور المرأة المسلمة في الكتابات الإسلامية، لكن هذا الإهمال من قبل المؤرخين المسلمين قابله اهتمام ملحوظ من قبل المستشرقين بالكتابة عن الحريم العثماني وإخراجه بالصورة التي ترضي ذوقهم حتى وإن كانت مخالفة تماما للواقع التاريخي[1].

1/ حرملك: كلمة تركية مكونة من مقطعين هما:

أ- حريم: معناه الحريم أو النساء وهي كلمة عربية الأصل .

ب- لك: وهي لاحقة تركية تدخل على الاسم فتعطيه معنى المصدرية[2]،فيشتق لفظ الحريم من كلمة الحرم، وحرم الرجل ما يقاتل عنه ويحميه والحرمة ما لا يحل انتهاكها من ذمة أو حق وأيضا بمعنى المرأة وأهل الرجل، أما لغة: هو ما حرم فلا ينتهك؛ وحريم الدار هو ما أضيف إليها من حقوقها ومرافقها وبهذا المعنى أطلق لفظ الحريم في معناه العام على الجزء المخصص من البيت الذي يعيش فيه الرجل من أهل بيته من النساء والأبناء والقائمات على خدمتهم، ولا يحق للأجانب من الرجال انتهاك حرمته وهي تسمية ذات دلالة حضارية عما سيكتنف هذا المكان من مظاهر الاحترام[3].

أطلق العثمانيون على نسائهم لفظ "الحريم" أو حريم القصر، ولم يكن لفظ زوجات شائع الاستعمال وانتقلت كلمة الحريم بهذا المدلول الحضاري إلى العثمانيين وأصبحت تعني في هذا المصطلح التاريخي العثماني واحدا من ثلاث أقسام يتكون منها القص،ر وهذه الأقسام هي القسم الخارجي، والقسم الداخلي والحرم أي الحريم ويعني الحريم في هذا المصطلح الجزء الخاص من القصر الذي يعيش فيه السلطان مع أهل بيته من النساء وهو مشتق من كلمة حرم كما ذكرنا سابقا.[4]

[1]- أماني الغازي، المرجع السابق، ص 620.

[2]- يلماز أوزتونا، مادة الحريم، موسوعة التاريخ الكبرى، ، الغروب، اسطنبول، ص 251 .

[3]د.ماجدة صلاح مخلوف، الحريم في القصر العثماني، ط ١، دار الآفاق العربية، القاهرة (1418 هـ/1998 م) ص10.

[4] مجدي عبد الحميد الصافور، سقوط الدولة العثمانية، دار الصحوة، القاهرة، 1994، ص 93، وللاستزادة ينظر: ماجدة صلاح مخلوف، المرجع السابق، ص 10.

2 /سكان القصر السلطاني:

كان تشكيل سكان القصر السلطاني مشروطا بصفتين رئيسيتين لطريقة السلاطين في العيش، و بالأخص احتفاظهم بالحريم، والتزامهم بالعادات الفارسية القديمة في اتباع الطريقة الملكية، و على الرغم من ان عزل النساء كان ذا اصول قديمة في بلدان الشرق الاوسط ، فقد طبقه الاسلام في وقت مبكر واصبح بالطبع صفة مميزة للمجتمع الاسلامي.

لكن يجب التنويه هنا الى انه لم يكن مرتبطا بشكل اساسي بتعدد الزوجات الذي اجازته الشريعة، وان اي مسلم حتى لو كان من منطقة قليلة الشأن، وسواء اكان متزوجا من امرأة واحدة ام غير متزوج، فقد كان يحافظ على النساء لملزم بإعالتهن منعزلات عن المجتمع الذكوري[1].

كانت كلمة " الحريم " هي اداة غزل النساء، اذ تعني الشيء المحرم او المكرم، ثم استعملت كلمة " تابو " taboo في هذا السياق للإشارة الى الشقق التي تعيش فيها النساء داخل ايي بيت مسلم، كان اهل البيت من الرجال يذكروها بشكل ثانوي اذ كان ذكر النساء محضورا بين من يتحلون بقواعد الادب. ولذلك كانوا يعبرون عنهن بكلمات اخرى مثل كلمة "البيت"، وبهذا كان قسم من القصر الملكي السراي[2]، مخصصا للحريم وقد اتخذه السلاطين العثمانيين سكنا لهم و مقرا للحكم منذ عهد السلطان سليمان القانوني (1520 -1566) حتى زمن السلطان عبد الحميد (1839 - 1861).

أما ما تبقى فكان مقسما الى جزأين ، لقد اثرت التقاليد الفارسية في الحكم الاسلامي وكانت تميل الى ابعاد الحاكم عن اعين رعيته إلا في المناسبات الرسمية، وهكذا فإن الساعات التي لا يكون فيها مع الحريم كان يمضيها في شقته الخاصة، ومن هنا كان لا بد من اجراء تقسيمات السراي بحيث يتألف من قاعدة خارجية واخرى داخلية وقسم الحريم[3]، بل وزيادة في الحرص، كانت هناك غرف خاصة معدة للانتقال من قسم لأخر بشكل منفصل، لذلك كانت غرفة الاستقبال الخاصة بالسلطان تقع بين القاعتين الخارجية والداخلية حتى يتمكن من لقاء الزوار واهل البلد والغرباء، مع المحافظة على عزلته عنهم عندما يشاء، وبين القاعدة الداخلية وقسم الحريم، الذي لا يدخله إلا هو و الخصيان

[1] هاملتون جب، المجتمع الإسلامي، ج1، ص 133.

[2] السراي : كلمة فارسية . و ان استخدام الكلمة الاطاليةseraglio للدلالة على الحريم فقط غير شائع لدى المسلمين ، ينظر: هاملتون جب، المجتمع الإسلامي، ج1، ص 133.

[3] نفسه، ص 134.

والسيدات كانت هناك غرف تعرف باسم (ما بين) ma . beyn[1] كان السلطان يجلس فيها مع حاشيته من الذكور لأغراض خاصة كارتداء الملابس و حلاقة الرأس[2].

و بحسب تقسيم السراي بهذا الشكل فقد كان افراده مقسمين ايضا بين قسم الحريم وخدمات القسمين الداخلي و الخارجي:

أ / قسم الحريم: و هذا القسم مخصص لسكن السلطان وزوجاته وجواريه وابناؤه والقائمات على الخدمة[3]، في البداية كان لدى السلاطين عادة الزواج بالأميرات المسلمات والمسيحيات، وأكثر من واحدة في الوقت نفسه، لكن دون ان يجمعوا بين اكثر من اربع معا ، كان اخر سلطان تزوج بهذا الاسلوب محمد الفاتح، وبالرغم من ان سلاطين اخرين جاءا بعده في النصف الاول من القرن السابع عشر قد تزوجا فتيات من عامة المسلمين، وكانت احداهما جارية معتقة، فقد تخلى من خلفوهم عن عادة الزواج برمتها، لم يضع القانون جدا لعدد الجواري التي يمكن للرجل ان يقتنهن، ومع ذلك فقد كان السلاطين يقيدون انفسهم بأربع حسب القاعدة[4]، ومع انهم تخلوا عن عقد الزواج فقد كانوا يعاملوهن كزوجات شرعيات، وكن يعرفن باسم القادنkadins[5]، وتشكلن الطبقة العليا من العنصر الانثوي في قسم الحريم كان لكل واحدة منهن شقتها الخاصة وفئة تعمل على خدمتها و لم تكن الواحدة ترى نظراتها إلا في المناسبات الرسمية وكن يتفاوتن في الرتبة حسب ترتيبهن الاولى، الثانية، الثالثة ،ثم الرابعة وتتمتع كل واحدة منهن بدخل يتفاوت ايضا حسب اسبقيتها[6].

ولهدا القسم من القصر العثماني تنظيم دقيق يخضع له كل جواري الحريم بلا استثناء سواء من نساء السلطان أو من الموظفات وجدير بالذكر أن كل النساء داخل الحريم من الجواري باستثناء بنات السلطان باعتبارهن أميرات.[7]

---

[2] نفسه

[3] ماجدة صلاح مخلوف، المرجع السابق، ص 11.

[4] كان ذلك على الاقل في الايام اللاحقة ، أما السلاطين الأوائل فيقال أن بعضا منهم كان لديه أكثر من ثلاثمائة جارية خلال فترة حكمهم، وكان لدى مراد الثالث مالا يقل عن 130 ولدا نتيجة لإسرافه الزائد ، و إذا اتخذ السلطان جارية من الكديكليgediklis دون أن يرفعها إلى مرتبة القادن، كانت تعرف باسم خاص أوضه لك hassodalik أو إقبالة lkbale و كلمة odalısk هي تحريف لكلمة أوضه لك يعني خاصة بالغرفة، و إقبالة من العربية إقبال إلى الحظ الحسن ، ينظر: هاملتون جب، المجتمع الإسلامي، ج 1،ص 135.

[5] القادن :وهي كلمة تركية kadin تعني امرأة ، ينظر: هاملتون جب، نفسه، ص 135.

[6] نفسه.

[7] د/ ماجدة صلاح مخلوف، المرجع السابق، ص 11.

ولقد كانت أسرة السلطان في مركز الدائرة بالنسبة لجميع العاملات في الحريم وكانت تخصص عدة أجنحة في قصر الحريم لسكن والدة السلطان جناح مستقل لكل زوجة "قادرين"[1] من زوجات السلطان يطلق عليه دائرة وكل ذلك في شكل مبان مستقلة وقد فرشت بأجمل الأثاث والرياش وتعدد الحجرات والقاعات فيه[2].

ودائرة الحريم بمعنى إدارة الحريم وتعرف باسم الحرم الهمايوني الذي يحتل مكانا في القسم الخلفي من الديوان الهمايوني ويكون موقعه على يسار الباحة الثانية في القصر أو سرايا (الطوب قابي) وهو يطل على القرن الذهبي[3].

ويتكون من عدة ممرات وشقق وغرف ومبان للخدمة وهو منظومة من المباني التي تشكل الدار الخاصة لإقامة السلطان العثماني والحريم اصطلاح تاريخي معروف منذ القدم في العالم الإسلامي وقد استخدم القسم المخصص لأفراد عائلة السلاطين العثمانيين، فقد أطلقوا اسم الحرم الهمايوني على القسم المخصص لأفراد عائلة السلطان والنسوة اللواتي يقمن على خدمته وسيد هذا المكان هو السلطان[4].

وينقسم المقيمون في الحريم إلى قسمين: أحدهم يخدم السلطان وزوجاته وبناته وأولاده، والآخر يقوم بخدمة الجواري وغيرهم.[5]

ب / الخدمة الداخلية :

نكتفي بالكلام عن الحريم و ننتقل إلى القسم الثالث من القصر التابع لسلطة الوصفاء [6]و خصبان البيض، قد تترك كملة الوصيف انطباعا بان الأشخاص الذين أطلقها عليهم هم من اليافعين و في الأيام الأولى كان الوصفاء الأقدم نادرا ما يتجاوزون الخامسة و العشرين من العمر ، أما لاحقا بعد التخلي عن نظام الدروشة في القرن السابع عشر فقد تم التخلي أيضا عن النظام الذي كان يفرض على الفتيان الترقي إلى مناصب في الخدمة الخارجية، في الجيش أو الإدارة ، و أصبح الوصفاء الأقدم

[1] قادرين: لقب يطلق على إحدى الزوجات المفضلة لدى السلطان: ينظر خليل إنالجيك، الدولة العثمانية، من النشوء إلى الانحدار، ملحق، معجم المصطلحات العثمانية، ص 339.

[2] عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ج ١، ص 435.

[3] أماني الغازي، المرجع السابق، ص 624.

[4] أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر: صالح سعداوي، ج1 ، ط1، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، 1999، ص 154.

[5] - نفسه، ص 155

[6] الوصفاء : يعرفون في تركية باسم اغوات الداخل ağas içi ياي العاملون في الخدمة الداخلية للقصر السلطاني ، و الاسم الجديد لهم هو اندروني همايونenderünıhümayun من الكلمة الفارسية andarün أي داخل أو ضمن ،ينظر:جب هاملتون ، المجتمع الإسلامي، ج ١،ص 141

رجالا بعمر الستين أو أكثر وكانت وظيفة الخصبان البيض حراسة الحريم . لكن في البداية كانوا مسؤولين عن الوصفاء، و بهذا نجد أن الوظائف الأربع الأدنى من وظائفهم الخمس الرئيسية في القرن السادس عشر كانت متطابقة مع الأقسام الأربعة التي قسمت وفقها للخدمة الداخلية ، كان أدنى هذه الأقسام مكونا من غرفتين تسميان الكبرى و الصغرى[1].

أما الأخرى التي تفوقها أهمية فكانت تسمى " مخزن الطعام الخاص hass kilariو الخزينة الملكية hazineihümayün، والغرفة الخاصة، وكان لكل منها مشرف من هؤلاء الخصبان البيض يساعده عدد من الخصبان الأخرين، كان رئيس الخصبان البيض يدعى أما آغا باب السعادة أو ببساطة آغا الباب، و لغاية استبداله بمنافسه الأسود كان بلا شك مسؤولا من قبل محمد الفاتح، و سليم الأول أجرى عليها تعديلات [2].

ج / الخدمة الخارجية :

تختلف الخدمة الخارجية عن الخدمة الداخلية لأنها ليست مقتصرة على شؤون القصر وعلى العكس أفراد الخدمة الداخلية كان أفرادها على اتصال مباشر بضباط الجيش وموظفي الإدارة، وفي الواقع لم يكن هناك حاجز بين هؤلاء الموظفين و الضباط و بين العاملين في الخدمة الخارجية، وبهذا كان ترتيبهم يتعلق بأسبقيتهم في الخدمة بغض النظر عن انواع المهام التي يؤدونها، وفي الواقع فان بعض المهام التي يقوم بها الضباط والموظفون غير المرتبطين بالقصر، ولعل منشأ هذا الاضطراب يرجع إلى أن التنظيم العسكري والإداري، باستثناء القوات الإقطاعية، كان قد تطور بواسطة رجال حاشية السلطان اللصقين به [3].

لهذا فليس من الغريب أن نجد اننا الخدمة الخارجية تضم عددا كبيرا من الأشخاص ذوي الوظائف المختلفة، لم يكن الجميع يقيمون ضمن حدود القصر بل كان بعضهم مرتبطا بالجيش الانكشارية والبعض الأخر لم يكونوا من القابي قول لدى أصلا وانما من علماء الدين،بينما كانت هناك مجموعات تعمل تحت قيادة أغوات الداخل والخصبان السود والبيض، كان معظم الموظفون

[1] بالتركية büyükveküçükodalar و كانت تدعى في البداية eskiveyeniodalar (اي الغرفتان القديمة والجديدة) ، و كانت بالمستوى نفسه ، ينظر: هاملتون جب ، نفسه ، ص 141.

[2] هاملتون جب ، المجتمع الإسلامي، ج 1،ص 142.

[3] نفسه ، ص 147.

الأساسيين في الخدمة الخارجية يندرجون تحت اسم آغا الركاب وكان هناك حامل العلم، وقائد الخيل الأكبر والأصغر ورئيس حراس الباب،البوستانجيباشى ولكل منهم وظيفة خاصة بالخدمة الخارجية[1].

د- مخطط القصر:[2]

3: ترتيب نساء السلطان داخل الحريم

أ/والدة السلطان:

وهي الرئيسة الشرفية لقسم الحريم، ولها أرفع مكانة بين كل الحريم باعتبارها والدة السلطان ولقبها المهد العالي "مهد عليا" ووالدة سلطان، وأطلق للمرة الأولى على والدة مراد الثالث: (1514-1595) وتلقب والدة سلطان بصاحبة الدولة، صاحبة العصمة) "دولتوعصمتلو" وهي نفس الألقاب تخاطب بها بنات السلطان ولها جناح خاص في القصر وعدد من الجواري لخدمتها وإدارة شؤون جناحها، ولها مخصصات عينية وأخرى نقدية تصرف لها من دار صك العملة مباشرة، وكان كثير من أمهمات السلاطين يوجهن هذه الأموال لبناء الجوامع والمدارس والمستشفيات وغيرها من الأعمال الخيرية[3] .ومن أهم السلطانات الوالدات لدينا السلطانة حفصة والدة السلطان سليمان القانوني فبعد أن اعتلى السلطان سليمان القانوني العرش قام بإحضار والدته السلطانة حفصةhafsa التي كانت مقيمة في مانيسا Manisa إلى اسطنبول بعد أن هيأ لها وضعا يليق بها وبمكانتها وبذلك يتسنى لهذه السيدة التي كانت تعيسة الحظ وأقصاها السلطان سليم من الحريم لسنوات طويلة أن تحيى أخيرا بسلام وطمأنينة وأن تنال مكانتها في بلاط القصر العثماني[4].

وقد حصلت السلطانة حفصة على لقب السلطانة الوالدة الذي أصبح يطلق عليها بعد تولي السلطان سليمان الحكم وتمكنت من الوصول إلى النفوذ والقوة اللذين لم تستطع أن تنالها في عهد زوجها الراحل وكان للسلطانة الوالدة حفصة أعمال خيرية ففي عام 1513 م قامت بإنشاء مجمع كبير في مدينة "مانيسا" التي كانت تقيم بها في الوقت الذي كان ابنها الأمير سليمان يشغل منصب حاكم ولاية صروفان وقد كان ذلك المجمع الكبير يضم مدرسة ودار لتحفيظ القرآن للصبيان ومسكننا وتكية

[1] نفسه، ص 148.

[2] - أنظر الملحق رقم 06 ص 85.

[3] - ماجدة صلاح مخلوف، المرجع السابق، ص 13.

[4] - جان ألباجونج، السلطانتان خرم ومهرماه قرينة القانوني وسليلته، تر: وليد عبد الله القط، دار النبيل للطباعة، القاهرة، 2014، ص 31.

للصوفية ومشفى وحماما وتوفيت السلطانة الأم حفصة في التاسع عشر من آذار (مار) من عام 1534 م عن عمر يناهز السادسة والخمسون عاما.[1]

ب/ **زوجات السلطان**:

وتسمى الواحدة منهم فادين وهي أعلى درجة من درجات نساء السلطان وكان لقبها حتى القرن الثامن عشر الخاص خاصكي[2]، ثم أصبح السيدة حرم السلطان قادين أفندي وتخاطب الزوجة بلفظ "ذات العصمة" عصمتلو وهو نفس لقب حفيدات السلطان.

ولزوجات السلطان ترتيب ودرجات فتسمى الأولى باشا قادين والثانية إيكنجيقادين والثالثة أوجنجيقادين ويزيد عدد الزوجات عن أربعة وهذا الترتيب لا يدل على تفضيل واحدة على الأخرى وإنما يدل على الأقدمية وفي اغلب الأحيان تكون الزوجة أو الزوجات من الجواري وكان ذلك منذ عهد السلطان سليم الأول (1520/1512) باستثناء السلطان عثمان الثاني (1618-1623) ومن بين زوجات السلاطين لدينا السلطانة خرم فوفقا لإحدى الروايات تقول كانت خرم ابنة أسقف كاثوليكي فقير يدعى "مارسجيلي" وقد نشأت في منطقة "روجاتينو" روهاتين" على ضفاف نهر ليبيا في جاليتشا"

وفي أثناء الهجمات التي قامت بها تتار القرمعلى امتداد نهر دنيمتر والمناطق التي تقع ضمن حدود أوكرانيا حاليا تم أسر "خرم" وذلك في فترة حكم السلطان يووزسليم وتم إرسالها إلى القصر في عهد سليم الأول (1512-1520) ،ويذكر بعض المؤرخين أن السلطانة خرم قد ولدت سنة 1504 تقريبا وقد تم تقديمها بوساطة ابراهيم باشا عند دخولها القصر العثماني وعمرها وقتئذ تراوح بين الرابعة عشر والسابعة عشر.[3]

اسمها الحقيقي هو ألكساندرا وتعرف في المصادر الغربية باسم روزا وكذلك روسانا ولكننا نجد في تلك المصادر الغربية أن اسم روكسان" هو أشهر الأسماء التي تنعت بها في حين نجده أنها لا تكاد تعرف في المصادر العثمانية سوى باسم واحد فقط وهو السلطانة خاصكي وسميت في القصر باسم خرم أو غرم شاه وذلك لأنها كانت بشوشة الوجه وبعد عدة سنوات قضتها خرم في قصر القرم منشغلة بالتدريب وتحصيل العلم تم إرسالها كهدية إلى القصر السلطاني من قبل حاكم قرم وتم

[1]- نفسه، ص 38.

[2] - خاصكي أو خاسكي :هو تعبير يطلق على من تقدم به السن في وظيفته وما شابهها وتعن القديم، ينظر: محمد عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، العدد 117- 118 كانون الثاني، جامعة دمشق، 2012، ص 373.

[3]- جان ألباجونج، المرجع السابق، ص 28.

تقديمها إلى السلطان سليمان القانوني عام 1520 م الذي لم يمضي على اعتلائه العرش العثماني أكثر من شهرين ويفهم من هذا أنها حتى ذلك الوقت كانت قليلة الخبرة ولم تكن على قدر من الوعي والثقافة اللذين يؤهلانها أن تكون زوجة السلطان.[1] أنجبت السلطانة خرم للسلطان سليمان القانوني ابنة اسمها مهرماه سلطان كما أنجبت له ولدا ثاني اسمه الأمير عبد الله[2].

ج/المستولدات:

وتسمى الواحد منهن (إقبال) وتأتي في الترتيب بعد الزوجات ولقبها "هانم" ولها الحق في مشاركة السلطان في فراشه، وأول مستولدة في الحريم العثماني هي فاطمة شاهين هانم" وذلك في زمن السلطان مصطفى (1695-1703) وليس بالضرورة أن يكون لكل سلطان مستولدات حيث أننا لا نجد هذه الدرجة من درجات نساء السلطان إلا لدى ستة سلاطين فقط هم: أحمد الثالث، محمود الأول، سليم الثالث، محمود الثاني، عبد المجيد الأول وعبد الحميد الثاني[3].

د/المحظيات: وتسمى الواحدة منهن (كوزده) وتأتي من الترتيب بعد المستولدة وتختار المحظية[4]، من بين الجواري من درجة المسؤولات عن خزينة السلطان (خزينة دار) المناط بهن أداء الخدمات المباشرة للسلطان ويمكن للمحظية أن تترقى فتصبح مستولدة ثم زوجة وقد يبتسم لها الحظ وتنجب من السلطان ابنا يصير سلطانا فتصبح والدة السلطان[5].

4: علاقة السلطان بالحريم

كانت علاقة السلطان بالحريم تتم وفق تقاليد وآداب فرغم أن كل نساء الحريم بالنسبة للسلطان هي مثابة جواري باستثناء بناته إلا أن أغلبهن موظفات في الحريم لأعمال الإدارة والخدمة فلم يكن جميعهن يعاشرن السلطان كما يتصور المؤرخون الغربيون إنما تؤهل فقط للتعامل معه من الزوجات والمستولدات أو المحظيات وتقلى قبولا عنده ورغم هذا فليس له أن يعاشر أي من الجواري إلا برغبتها وموافقتها فلا يجبرها على ذلك ويحترم رغبتها إذا امتنعت ويساعدها في اختيار زوج آخر تقديرا لها وتضمنت مذكرة الأميرة شادية بنت السلطان عبد الحميد الثاني أن واحدة من الجواري

[1]- جان ألباجونج، المرجع السابق، ص 28

[2]- نفسه، ص 38.

[3] ماجدة صلاح مخلوف، المرجع السابق، ص 16.

[4] المحظية : تطلق على المرأة التي تفضل على غيرها في المحبة وعلى الفتاة ذات المكانة أو المنزلة لدى مولاها أو سلطانها، ينظر: المعجم الوجيز، نخبة من العلماء، ج 2، ط 1، دار الكتب العلمية، القاهرة، (1401 هـ-1980 م) ص159.

[5] عبد العزيز شناوي، المرجع السابق، ج ١، ص 458.

ظلت ترفض الاستجابة للسلطان مدة خمس سنوات لرغبتها أن تكون الزوجة الوحيدة لمن تتزوجه فاحترم السلطان رغبتها هذه واختار لها زوجا يليق بها من رجال القصر وأسس لها قصرا في أجمل أحياء اسطنبول[1].

وقد أصبح زواج السلاطين العثمانيين من الجواري أمرا مستقرا منذ زمن السلطان سليم الأول حين تزوج من الجارية حفصة أم السلطان سليمان القانوني ولا يؤثر زواج السلطان من الجارية العرق الذي تنحدر منه وأشهرهن كوسم ماه بيكر زوجة السلطان أحمد الأول (1603-1617) وكانت ابنة قسيس رومي، وخرم سلطان زوجة سليمان القانوني فتنحدر من عرق سلافي، وبصفة عامة فإن أمهات السلاطين العثمانيين اعتبارا من سليم الثاني كلهن من الجواري وينحدرن من أصول غير تركية، ويهتم السلطان بالدرجة الأولى بثقافة وذكاء الجارية قبل اهتمامه بجمالها فإذا لم يشعر فيها بالذكاء أخرجها من الحريم وقام بتزوجها، وعند وفاة السلطان تنتقل كل نسائه وجواريه القائمات على الخدمة المباشرة له من قصر السلطة إلى قصر آخر؛ ويخصص لكل واحدة منهن راتبا شهريا يتناسب مع درجتها[2].يعد تناول مسألة الحريم في العصر العثماني من أصعب الموضوعات في تاريخ الدولة العثمانية وذلك لسببين:

أولا: لم يكن مسموحا لأي شخص الدخول إلى الحريم إلا بإذن شخصي من السلطان وبالتالي أغلب كتابات المستشرقين جاءت من محض خيالهم ومن وجهة نظرهم عن وضع المرأة الأوروبية ،وليس عن وضع الحريم العثماني، وعلى هذا فإن معنى الحريم ليس المكان المحرم الدخول إليه فقط وإنما تحوى الكلمة على معان عديدة تشير بوضوح لحياة الحريم العثماني بصفة خاصة. ولقد خلص المستشرقون في صورة معيشة الحريم العثماني مطلقا عليهن أسماء لا تنطبق عليهن مطلقا وهي محظيات وأتباع وخصيان وهذا يظهر تماما خلفية الثقافة المتأثرة بالنساء في قصور ملوك وأمراء أوروبا؛ حيث امتلأت بالعشيقات والأطفال غير الشرعيين وما إلى ذلك من صور الفساد، وهو بذلك يحاول قدر الإمكان طبع هذه الصورة على الحريم العثماني في قصور وسرايات الدولة العثمانية لأنه لا أحد من الأجانب استطاع دخول هذا المكان وذلك لحصانته فكانت كتاباتهم مبنية على الخيال وليس الواقع، ثانيا:قلة المصادر والمراجع الصادقة في هذه المسالة مما أسهم في ندرة المعلومة الصحيحة.

[1] ماجدة صلاح مخلوف، المرجع السابق، ص ص 25،26.

[2] د/ ماجدة، مخلوف، المرجع السابق، ص28.

لم تنقل مادة الحريم الصورة الحقيقية لواقع الحريم فقد صورتهم على أنهم فئة محجوب عنها أي أحداث خارجية ولا يتفاعلن مع المجتمع المحيط بهن والحقيقة أن الحريم كان على اتصال دائم بالحياة الاجتماعية في إطار الشريعة الإسلامية وذلك عن طريق الأوقاف[1]. فقد كانت أعداد النساء اللواتي يقمن بأعمال اجتماعية في الدولة العثمانية مثل بناء المستشفيات وتقديم الأدوية للفقراء وتخصيص أوقاف للأيتام والعوانس؛ والمساهمة في بناء المساجد والأسبلة وتشييد المدارس وكذلك أوقفن أموالهن على قراءة القرآن؛ وتوزيع الطعام على الفقراء وغيرها من الأعمال الخيرية في إسطنبول وبلاد الحرمين الشريفين والقدس[2]. وقد تفاوتت هذه الجهود والأدوار من سيدة إلى أخرى، كل حسب مكانتها وقربها من السلطان وكبار الدولة، وقد وصلت بعض النساء موظفات الحرم حتى أصبحت مسؤولة عن خزينة السلطان، وكان آغا البنات هو مسؤول عن متابعة هذه الأوقاف الخاصة بنساء الحريم.[3]

والمرأة في القصر العثماني كان لها وضع مختلف عن المرأة خارج القصر وظهرت المرأة داخل الحرم بأمور لها علاقة بالسياسة والخدمة الاجتماعية للناس باعتبارها زوجة السلطان أو والدته أو ابنته أصحاب المال والسلطة ومن هؤلاء أمهات وزوجات وبنات السلاطين نذكر مثلا: حفصة سلطان أم السلطان سليمان القانوني، وصفية سلطان أم مراد الثالث، وطرخان سلطان أم محمد الرابع[4].

وقد وصلت نسبة أوقاف حريم القصر السلطاني العثماني 30% من نسبة الأوقاف العامة، حتى أنشئت نظارة خاصة لإدارة هذه الأوقاف[5]. ولطالما حاول المستشرقون إخفاء حقيقة الحريم والجزم بحقيقة وصحة ما هو عكسها تماما مخفين واقعه الحقيقي؛ وهي أن جميع الحريم ملك للسلطان يتحكم بمقدراتهن كيفما يشاء لكن الحقيقة عكس ذلك فهناك موظفات وعاملات وقائمات على الخدمة والنظافة وغيرها وجميعهن يقضين مدة في العمل ثم يتقاعدن ويحصلن على صك العتق ويبقين على صلة دائمة بالحريم العثماني[6].

---

[1] الوقف : من أعمال البر الشائعة في المجتمعات الإسلامية باعتباره صدقة جارية لما ورد فيها من ترغيب يطمع فيه كل مؤمن لقوله صلى الله عليه وسلم: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له ينظر صحيح مسلم (1255/3).

[2] أكمل الدين إحسان أوغلي، المرجع السابق، ج ١، ص ص154،155

[3] محمد أحمد محمد الثقفي، زواج السلاطين العثمانيين من الأجنبيات وأثره في إضعاف الدولة، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة أم القرى، منشورة(1431هـ،1432 هـ) ص 80.

نفسه، ص 48.

[5] - أكمل الدين احسان أوغلي، المرجع السابق، ص 155.

[6] - أماني الغازي، المرجع السابق، ص 655.

والخطر الذي يكمن خلف صورة المستشرقين هذه أن أغلب المؤرخين المسلمين استقوا معلوماتهم عن موضوع الحريم العثماني؛ خاصة من كتابات المستشرقين وهي كتابات خاطئة حاقدة على الإسلام فجاءت كتابات المسلمين ترجمة لصورة خاطئة دفعها المستشرقون في الأذهان وانتقلت عبر الأجيال، إن نظام الحريم ليس وليد الدولة العثمانية وإنما يعود بجذوره إلى أنظمة الدولة الإسلامية السابقة على الدولة العثمانية ومن قبلهم جميعا قواعد الشريعة الإسلامية[1].

المطلب الرابع: أهل الذمة في الدولة العثمانية

ورد في القرآن الكريم العديد من الأيات القرآنية التي تأمر المسلمين بمعاملة أهل الكتاب معاملة احترام لديانتهم و هو ما يتضح من خلال بعض تلك الأيات التي تحث المسلمين على معاملة أهل الذمة معاملة تسامح و إخاء و حب، و هي الدعامة الأساسية التي جعلت حكام و سلاطين الدولة العثمانية منذ تأسيس دولتهم يتخذون هذه الإيات والقرآن الكريم منهاجا لهم في تعاملهم مع أصحاب الديانات الأخرى[2]. و قد بين المولى عز وجل كيفية التعامل مع اهل الذمة معاملة الرحمة و العدل بقوله تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم أن الله يحب المقسطين)[3].

من المهم قبل كل شيء ان نضبط منصوصا لمصطلح الذمة ثم نستفيض في هاته المسألة. فالذمة في اللغة : بمعنى العهد والأمان والضمان والحرمة والحق، وسمي أهل الذمة ذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم، وسمي المعاهد ذميا لأنه أعطى الأمان على ذمة الجزية التي تؤخذ منه[4].

والذمة في الفقه الإسلامي : العهد الذي يعطى للقوم الذين لم يدخلوا في الإسلام عند فتح المسلمين لبلادهم؛ ولا يسترقون ويؤمنون على حياتهم و حديثهم وأموالهم و عباداتهم[5].

ويعرف هاملتون جب الذمي قائلا :"الذمي هو التعبير المستخدم في لغة الشريعة، ويشير إلى الرعايا غير المسلمين التابعين لحاكم مسلم؛ يطلق عليهم هذا الاسم لأن علاقتهم بحاكمهم موضحة ومنظمة عن طريق عهد (ذمة) وُجد لدى انضمام البلد المعني إلى بلاد الإسلام "[6].

---

[1]- أماني الغازي، المرجع السابق، ص 655

[2] أماني الغازي، المرجع السابق، ص 162.

[3] سورة الممتحنة ،الاية 8 .

[4] *ابن منظور، لسان العرب*، ج12.دار صادر،بيروت، ص ص 221،222

[5] ماجد المصنيان، المرجع السابق ، ص 14 .

[6] هاملتون جب ، المجتمع الإسلامي، ج 2، ص 295.

لقد خاض الكثير من الباحثين في مسألة التسامح الديني و خاصة فيما يتعلق بصحة ذلك التسامح الذي تعامل به العثمانيون مع غير المسلمين في الدولة؛ و أن الأساس في هذه القضية الذي اعتمد عليه العثمانيون في ذلك النهج الذي ساروا عليه هو العقد الشرعي الذي اقره الشرع و السنة النبوية المطهرة، حتى اذا حدثت بعض المضايقات التي تعرضت لها بعض الطوائف الذمية من حين للأخر فإن هذا لا ينفي قاعدة التسامح الديني الذي تعاملت به الدولة العثمانية مع رعياها غير المسلمين الذين يتمتعون بالحماية الكاملة من حكامها[1].

لم يبدأ تعامل السلطنة العثمانية مع المسيحيين واليهود بشكل متسع عمليا إلا بعد فتح القسطنطينية، وما قرر بعد هذا الفتح سيكون نظاما كاملا يجري العمل فيه في سائر الولايات العثمانية في كل مراحل الدولة العثمانية[2]. وفي هذا يقول توماس أرنولد : " ...ولم تكد حاضرة الإمبراطورية الشرقية القديمة تسقط في أيدي العثمانيين سنة 1453 م حتى توطدت العلاقات بين الحكومة الإسلامية والكنيسة المسيحية بصفة قاطعة وعلى أساس ثابت، ومن أولى الخطوات التي اتخذها محمد الثاني بعد سقوط القسطنطينية وإعادة إقرار النظام فيها، أن يضمن ولاء المسيحيين بأن أعلن نفسه حامي الكنيسة الإغريقية؛ فحرم اضطهاد المسيحيين تحريما قاطعا، ومنح الطريق الجديد مرسوما يضمن له و لأتباعه ولمرءوسيه من الأساقفة حق التمتع بالامتيازات القديمة والموارد و الهبات التي كانوا يتمتعون بها في العهد السابق "[3].

أمر السلطان محمد الفاتح عقب فتحه للقسطنطينية بإجراء انتخابات لاختيار بطريرك جديد لمنصب البطريركية و قد كان وقتها شاغرا ، فاجتمع رؤساء الكنيسة و الرهبان و إتباع الكنيسة في القسطنطينية و اختاروا "جورجيوس سكولاريوس " بطريركا بإجماع الأصوات وكان هذا الانتخاب قد اجري وفق أنظمتهم و طرقهم الخاصة واتخذ " جورجيوس سكولاريوس " حينها لقبا كهيونيا له هو : " جناديوس "و اشتهر به[4].

كان من عمل البطركية أن يفصل في القضايا التي تتعلق بالإغريق بعضهم مع بعض، فكان لها أن تفرض الغرامات و تسجن المجرمين في سجن معد لها ، بل كان لها إن تحكم بالإعدام في بعض الأحيان . بينما صدرت التعليمات إلى الوزراء و موظفي الحكومة بتنفيذ هذه الأحكام، و كانت المراقبة التامة على الشؤون الروحية و الكنيسة (وهي التي لم تتدخل فيها الحكومة التركية مطلقا بعكس

[1] أماني الغازي ، المرجع السابق ، ص 164

[2] قيس جواد العزاوي ، المرجع السابق ، ص ص 81 ، 82

[3] توماس ارنولد ، الدعوة إلى الإسلام . تر: حسن ابراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين ، اسماعيل النجراوي، ط 2. مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، 1971 ص 170

[4] ثريا شاهين ، دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية ، تر: محمد حرب ، ط 1، دار المنارة (1418 هـ / 1997 م)،ص 26.

السلطة المدنية التي كانت مخولة للدولة البيزنطية) متروكة كلها في أيدي البطريق، كذلك كان في استطاعته أن يفصل في كل شؤون العقيدة والشريعة من غير أن يخشى تدخلا من جانب الحكومة، ولما كان هذا البطريق معترفا به موظفا من موظفي الحكومة السلطانية، كان يستطيع أن يقوم بعمل كبير في رفع الظلم عن المظلومين بان يوجه أخطار السلطان إلى أعمال الحكام الظالمين [1].

في إطار السلطة العثمانية ،كان للبطريرك حق التحدث في " الديوان " في أي وقت يشاء و في أي موضوع يرى فائدته له ولمن يتبعونه لأنه رسميا رئيس الجماعة النصرانية داخل الدولة العثمانية وهذا يعني انه كان يدافع عن حقوق الروم الدينية والمدنية في الدوائر الحكومية، وتوضح لنا العثمانية التي أصدرها سلاطين آل عثمان في هذا الموضوع ، مدى الحرية والاستقلال التام الذي تمتع به البطريرك في ترتيب التنظيمات الكنيسة والجماعات الدينية للنصارى الذين يرأسهم و الحق أن السلطات العثمانية لم تتدخل كذلك في مدارس الأقليات الدينية للشعوب التي عاشت في كنفها و بالتالي لم تتدخل في برامجها التعليمية [2].

كان الإسلام هو الديانة العليا في الدولة ولكن ذلك لم يكن يعني محاباة المسلم في الوظائف لمجرد كونه مسلما[3]، و الواقع أن العثمانيين رحبوا منذ البدء بكل من يدخل في الدين الإسلامي و يلتحق ببلاطهم و جيشهم و منحوه حقوق المواطن الكاملة، ولقد كانت إحدى الأسر الأربع الأولى التي تؤلف الارستقراطية العثمانية العسكرية وهي أسرة ميخالاوغلو تنحدر من أصل يوناني ، اعتنق الإسلام سنة 1308 م وانتهى إلى أن يكون بطلا مغوارا من اخلص الرجال الذين خدموا عثمان و ابنه أورخان، وليس ثمة من شك في أن العثمانيين استطاعوا من طريق ضريبة القلمان زهرة شباب الأمم الخاضعة لهم فترة طويلة من الزمان، وقد رأينا من قبل كيف كان هؤلاء ال "عجم او علان " كانوا بمثابة متعين يقدم إلى الدولة كبار موظفيها الإداريين[4].

يؤكد أحد الباحثين أن المسيحيين لم يتعرضوا إلى الاضطهاد السافر على أ؛يدي العثمانيين إذ كان هناك تسامح عثماني في بداية تأسيس الدولة حتى أن افراد مسيحيين غرب اسيا حاربوا إلى جانب العثمانيين للتخلص من الحكم البيزنطي واستمروا يستفيدون من نظام التيمار حتى نهاية القرن الخامس عشر[5].

---

[1] توماس ارنولد ، المرجع السابق ، ص 171 .

[2] ثريا شاهين ، المرجع السابق ، ص 27 .

[3] معاذ عابدين ، التاريخ الاقتصادي للدولة العثمانية (974 ، 1342 هـ / 1566 ، 1924 م) ، جامعة اليرموك ،(1437 هـ،2017 م) ، ص 48.

[4] كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، تر: نبيه امين فارس منير البعلبكي ، ط 5، دار العلم للملايين ، بيروت 1968 ،ص 488.

[5] عبد الرؤوف سنو ، الفتوحات الإسلامية و التسامح اللاتيني ، في محاضرة القيت في مؤتمر المسلمين التقدميين ، مؤسسة فريدريش البرت ، برلين 22 - 24 تشرين الأول 2009 ، الحداثة ، بيروت 2009 ،ص 4.

من الجدير بالذكر أن سياسة التسامح الديني لم تبدأ منذ محمد الفاتح، فقد سبقه إلى ذلك جميع سلاطين الدولة العثمانية، إذ بدأت سياسة التسامح الديني منذ تأسيس الدولة العثمانية ،إن أرطغرل عمد لابنه عثمان - مؤسس الدولة العثمانية - بولاية القضاء في مدينة (قره جي حصار) بعد أن فتحها في عام 684 هـ - 1285 م ، وخلال تلك الفترة اثبت التاريخ العثماني إن الأمير عثمان حكم لبيزنطي ضد مسلم تركي ، فاستغرب البيزنطي وسأل الأمير عثمان والقاضي في وقت نفسه : كيف تحكم لصالحي و انا من غير دينك ؟ فأجابه عثمان قائلا : بل كيف لا احكم لصالحك [1]، والله الذي نعبده يقول لنا : " إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الامَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَ إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ "[2].

كان من أثر ذلك أن الإغريق ولو أنهم كانوا يفوقون الأتراك عددا في كل الولايات الأوروبية التابعة للدولة؛ قد جعلهم التسامح الديني الذي رخص لهم، وما تمتعوا به من حماية لحياتهم و أموالهم يسرعون في الموافقة على تغيير سادتهم وإثار سيادة السلطان على سيادة أية سلطة مسيحية ،و كان الغزاة العثمانيون في بقاع كثيرة من المملكة يلقون ترحيبا من جانب الإغريق و يعدونهم مخلصين لهم من الحكم الظالم المستبد ، و مع أن مخلصيهم كانوا كذلك غرباء عنهم إلا أنهم آثروا التركي الكافر الكاثوليك المراطقة إيثارا مطلقا ، وقد بلغت حالة التدهور و الظلم التي ميزت اسرة palaelogi إلى حد يدعو المتأمل إلى الخوف والذعر، فإن الارستقراطية الفاسدة و رجال الكنيسة المستبدين الذين لا يحصيهم العد وضغط القانون الباطل، وإرهاق الحكومة الوضيعة، والجيوش المجيشة لجمع الضرائب والخراج كل ذلك قد جعل الشعب المنحل حرا من الحقوق و المبادئ،لإفرصة اماه للإصلاح ولا أمل له في الانتعاش[3].

بطريقة مماثلة كان اليهود يشكلون ملة أخرى سمح لهم الفاتح بالاستقرار في اسطنبول، وعين الحاخام haham Başı أو الحبر الأعظم الذي منح سلطات متشابهة لتلك التي منحت للبطريرك على جميع تابعيه في الإمبراطورية و تلت مباشرة مرتبة رئيس العلماء ومن خلال ذلك أصبح موقف اليهود أفضل بشكل عام[4]. لقد أصبحت الدولة العثمانية ملجأ للحرية الدينية بالنسبة لليهود المطرودين من اسبانيا وذلك بعد أن صدر قرار ملكي من هناك بتاريخ 898/06/10 هـ- 1492/03/30 م، يقضي بطرد

[1] أماني الغازي ، المرجع السابق ، ص 177.
[2] سورة النساء ،الاية 58 .
[3] توماس ارنولد ، المرجع السابق ، ص ص 172 ،173 .
[4] هاملتون جب ، المجتمع الإسلامي. ج 2 ، ص 308 .

اليهود الذين لم ينتصروا من أراضي قشتالة خلال أربعة أشهر من تاريخه و ألا يعودوا إليها أبدا، ويتعرض المخالف للموت و يقضي أيضا بمصادرة أموالهم [1].

كان اليهود قد تمكنوا من كسب مودة السلاطين الأوائل وقد بدأ مراد الثاني تقليدا معينا حيث قام بتوظيف أحدهم كطبيب خاص له ، كما منح الأخرين وظائف مهمة في البلاط الملكي، ولم يصر على جعلهم يرتدون ملابس معينة تميزهم بل سمح لهم بالعيش كما يرغبون[2].

شهد القرن الخامس عشر إعداد هائلة من اليهود تدفقت للعيش في أراضي السلطان، وفي أثناء النصف الأول من القرن حدث الاضطهاد في بوهيما والنمسا وبولندا ولكن كانت الإجراءات المتخذة عندهم في اسبانيا هي المحفز الأكبر لهذه الهجرة ، كانت اسبانيا ولعدة قرون تشكل المركز الأكثر تقدما للمجتمع اليهودي، فقام اللاجئون الذين اختاروا الإمبراطورية العثمانية ملاذا لهم بجلب ثقافي قيم معهم وبالتالي استقبلوا بحفاوة كبيرة، وخصوصا أن نفيهم خارجا كان قد ترافق مع سقوط إمارة غرناطة الإسلامية، وكان بين هؤلاء اللاجئين العديد من البربر ، صرح باحث بندقي في القرن السادس عشر بأن أولئك اليهود ومواطنيهم من المسلمين قد قاموا بتعليم الأتراك جميع الفنون المفيدة وان القسم الأعظم من الفنون والحرف التجارية كان بأيديهم و بالرغم من أن هذه المبالغة سخيفة نوعا ما، فما من شك في أن أولئك المهاجرين قد ساهموا بشكل كبير في الازدهار قصير الأمد للحضارة العثمانية، التي حدثت في عهد السلطان ياوز سليم و سليمان العظيم[3].

من الممكن تلخيص النظام الذي طبقه العثمانيون على اليهود في الأتي: أصبح الحاخام باشي في الأستاتة يمثل جميع اليهود في الدولة أمام الحكومة العثمانية و تقع عليه المسؤولية في تحديد الضرائب للطائفة اليهودية علاوة على ذلك فقد حدد هذا النظام قيام الحاخام بالمصادقة على اختيار الرؤساء المحليين الذين ينتخبون من قبل ممثلين من الملة المحلية، ويجب أن نؤكد في هذا المجال أن هؤلاء الرؤساء لا يمكنهم تقلد مناصبهم إلا بفرمان سلطاني ولهم مكانتهم في الهيئة الدينية الرسمية للدولة، وكانت الملة ذات استقلال ذاتي في المجالات الدينية والإدارية وإدارة الممتلكات والتعليم والكنائس وفي النواحي التشريعية والزواج والطلاق والنفقة والحقوق المدنية والوصية[4].

[1] اماني الغازي ، المرجع السابق ، ص 167.

[2] هاملتون جب ، المجتمع الإسلامي، ج2 ،ص 309.

[3] هاملتون جب، المجتمع الإسلامي، ج 2، ص 310 .

[4] احمد نوري النعيمي ، اليهود و الدولة العثمانية ، تر: البشير ،ط1 ،الاردن ،(1417 هـ ، 1997 م)، ص 38.

و عن الملة الارمينية فيمكننا القول انها ايضا مرت بتطورات مشابهة اذ يدور الجدل حول ان البطريوك الارميني الذي عينه السلطان محمد الفاتح كان ذا السلطة على كافة الطوائف الارمينية و على كنائسها , و ان نظام الملة الارمينية تأسس عام 866 هـ / 1461 م , و بالتالي يمكننا القول ان البيطريكية الارمينية كانت تنظم الطائفة بكاملها منذ ذلك القرن , و ادى هذا النوع من التنظيم الى ان اصبح الرؤساء الدينيون رؤساء الملل و الممثلين لطوائفهم في امور الدين و القضاء على السواء . و من ثم نمم المسؤولون عن طوائفهم و الممثلون لها امام السلطات العثمانية , و ردا لجميل ادولة العثمانية شوه الارمن علاقتهم بها . من ادعاء للمذابح الارمينية التي راح بسببها على حد قولهم ضحايا كثر و وورد تلك الافتراءات المستشرقون على انها حقائق واقعة لا مراد فيها . بل حاولوا ايجاد الادلة و البراهين الواهية الضعيفة لتأكيد الحدث [1] .

لقد حاول اترك العثمانيون بذل اقصى الجهد لاستمرار المعتقد الاسلامي في ادارة غير المسلمين , و خير دليل على ذلك هو الحفاظ على البراءات و التعهدات التي منحت لأهل الذمة ممثلين في بطارقة و الحاخامات و الروحانيين منذ الازمنة السابقة , بل و الامر عالي الشأن الذي اصدره محمد الفاتح منذ ان تقابل المسلمون معهم و مازالت السجلات التاريخية و ارشيف رئاسة الوزراء في تركيا تحتفظ بالعهدة العمرية التي منحها الفاروق عمر بن الخطاب لكنيسة الروم , و معاهدة صلاح الدين الايوبي , و قرصان السلطان ياووز سليم الذي طالبا فيه الابناء و الولاة من بعده بالحفاظ على الكنائس والأديرة و المعابد اليهودية و ما يتبعها من آبار و مزارع . و ان يؤمنوا جميع طرق الحجيج الى بيت المقدس , كل هذه المواثيق تحفظ لهم حقوقهم في العبادة و الحفاظ على اموالهم و ارواحهم ماداموا محافظين على تعهداتهم [2]

كان النظام القضائي حتى القرن التاسع عشر يعكس التعددية الطائفية , بمعنى انه كان لكل طائفة دينية محاكمها الخاصة و قضائها لكن المحاكم الاسلامية كانت ايضا تنظر و تبت في اية قضية بين المسلم و غير المسلم , باعتبار الولاية كانت بيد المسلمين و على ذلك لم يكن جائزا لغير المسلم ان يشهد ضد الفرد المسلم إلا في حالات استثنائية [3] .

[1] اماني الغازي , المرجع السابق , ص 191

[2] ستانفورد , ج , شو , يهود الدولة العثمانية و الجمهورية التركية , تر: الصفصافي احمد القطوري , ط 1 , دار النشر للثقافة و العلوم , مصر. 1436 هـ - 2015 م , ص 14

[3] دونالد كواترت , الدولة العثمانية 1700-1922 , تر: ايمن الارمانزي . ط1 , مكتبة العبيكان , المملكة العربية السعودية , 1424 هـ - 2001 م , ص 311

ان اقليات المسيحية اندمجت في المجتمع الاسلامي لدرجة انه في بعض الاحيان كانوا يلجأون الى المحاكم الاسلامية لفض النزاع بين افرادهم مؤمنين بنزاهة و صدق هذه المحاكم [1] .

و الجدير بالذكر ان المسيحيين كانوا كثيرا ما يلجأون الى المحاكم الاسلامية في القضايا الارثية , و ذلك ان الشرع الاسلامي كان يضمن الحقوق الارثية لجميع افراد الاسرة و الاقارب , لذلك كان المسيحيون و اليهود الذين يخشون حرمانهم من حقوقهم الارثيةيلجأون الى الشرع الاسلامي لإنصافهم لاسيما و ان الشرع الاسلامي كان يمنح الزوجة التي توفي زوجها نصيبا اكبر من الميراث مما يمنحه لها القانون الكنسي هذا من ناحية , و من ناحية كان بمقدور الشابة الذمية التي يرغمها اهلها على الزواج من شخص لا تريده ان تلجأ الى المحاكم الشرعية لمنع عقد مقل هذا الزواج . اذ ان الشرع الاسلامي يشترط موافقة المرأة المعنية في هذه الحال [2] . نظرا لبعض الظروف السياسية و الاقتصادية التي مرت بها الدولة العثمانية طرأت لبعض المضايقات للطوائف غير المسلمة و الذمة فاستغل ذلك من طرف الكتاب و المستشرقين ليكون ذريعة لاتخاذ بعض المواقف المتشددة و الكتابات الجارحة ضد المسلمين , و بالرغم من ذلك فإنها لا تلغي قاعدة التسامح و التعايش بين المسلمين و الذميين , لان ما حدث هو استثناءات طبيعية تحدث في كل الحضارات و داخل كل الدول سواءا في التاريخ القديم او الحديث . و خاصة اذا تعلق الامر بكيان سياسي بهذا الاتساع و التنوع العرقي و الديني [3] .

لقد اصاب الدولة العثمانية ضرر كبير نتيجة هذا التسامح لأنه دفع النصارى الروم التابعيين للدولة العثمانية في اوروبا الى ابراز نيتهم مما نتج عنه بمرور الوقت ولع لهؤلاء بأخطار الاستقلال عن الد . ع و الانفصال عنها و التسبب في تجزئة الدولة العثمانية و من ثم انهيارها بعد ان ظلت موحدة طوال ستة قرون , و فكرة الاستقلال عن الدولة كونت بمضي الوقت لدى النصارى وحدة فكر و وحدة هدف . و في حسن التكوين لعبت الكنية - بدون ادنى شك - دورا ضخما , و تحولت التسمية بمرور السنين الى موجة للدين فقط للإحساس القومي كما تحولت ايضا الى مركز مقاومة و اعلام و توجيه واسع و كبير لما صرحته الدولة العثمانية[4] .

[1] اماني الغازي , المرجع السابق , ص 177
[2] دونالد كواترت , المرجع السابق , ص 312
[3] اماني الغازي , المرجع السابق , ص 169
[4] كاتيا شاهين , دور الكنيسة، المرجع السابق ،ص56

كان البطريرك المنتخب يمثل امام السلطان ليقسم , على ان يظل مخلصا للسلطان و ان ينفذ قوانين الدولة العثمانية و يحترمها و ان هذا القسم الذي يسمى ديمين نامة . يتلوه البطريرك امام السلطان في حضور خمسة اشخاص , و ينص على انه لن يخون الدولة العثمانية و انه سيؤدي عمله على اتم وجه , و ان يكتب للدولة عن كل ما تبدر منه خيانة للبلاد سواء كان من رجال الدين النصارى او من غير رجال ذلك الدين لكن الواقع يحدثنا ان البطريركية قد تناست هذه المسؤولية كما تناست ذلك القسم الذي اقسمه كل بطريرك و هو يستلم سلطاته رسميا من الدولة العثمانية , ليس هذا فحسب بل ترك البطريرك و هو رأس الكنيسة واجبه الديني و اشتغل بالسياسة و التآمر على سلامة الوطن و خان الامانة بخيانة للدولة العثمانية التي يتبعها

- عندما اتى الحل للمسألة الدينية في السلطة العثمانية على يد اوروبا , بخلق مواطنة عثمانية تقوم على اصلاحات و تؤسس التسامح متبادل , حصل رفض اسلامي - مسيحي مزدوج للتنظيمات العثمانية , فاعتبرها المسلمون ضربة قاصمة لسيادتهم كأمة اسلامية و رفضوا اية مساواة بينهم و بين المسيحيين . اما المسيحيون فلم يعنيهم الوطن العثماني بشيء , و فضلوا البقاء تحت نظام الملمة و الحماية الاجنبية و دفع الجزية التي نصت مراسيم الاصلاح على الغائها . لقاء عدم الخدمة العسكرية و الحصول على شيء من الحرية في ادارة لتنويرهم و بالتالي التفوق على المسلمين اقتصاديا و ثقافيا . في المقبل لم يجد المسلم من يحميه - عندما كان يحل ازمة ارضه بتأدية الخدمة العسكرية [1]

الحضارة التي قوبل بها اليهود و المعاملة الكريمة التي ظفروا بها في الدولة العثمانية لم تمنعهم من التآمر على تقوين اركانها و البطش بحكامها فقد اوعز المجلس الاعلى لليهود . و التي اتباعه الذين احتضنتهم الدولة العثمانية بان يتظاهروا باعتناق الاسلام ليسهل عليهم التغلغل الى المراكز الحساسة في الدولة و بالتالي العمل على تحقيق اهداف اليهودية العالمية . فاستجاب اليهود في الدولة العثمانية لهذا الطلب و بادروا الى التظاهر بالإسلام و بدلوا اسمائهم بأسماء اسلامية و اندمجوا في جميع مجالات الانشطة السياسية و الفكرية و الاقتصادية و التربوية و راحوا يعملون في الخفاء لتحقيق اهدافهم القومية

و ظلت تلك الطوائف اليهودية المتسترة بالإسلام على اهبة الاستعداد للقانون مع كافة القوى المناوشة للدولة العثمانية . لذا فعندما ظهرت الصهيونية كحركة عنصرية ترمي الى ايجاد وطن قومي لليهود في فلسطين و ايقاظ الفكر اليهودي في كل مكان . كان يهود الدولة العثمانية المتظاهرون بالإسلام من ابرز

[1] عبد الرؤوف سنو , الفتوحات الاسلامية،المرجع السابق ،ص 131- 138

الطوائف اليهودية التي استجابت لتلك الحركة كما رأى الصهاينة بدورهم ان على خدمة اهداف الحركة الصهيونية و ذلك بحكم قربها من فلسطين و بحكم تغلغلهم في المجتمع العثماني و تمكن بعض افرادها من الوصول الى مواقع صنع القرار في الدولة العثمانية .

ومن جانب اخر فقد وجدت الحركة الصهيونية رعاية خاصة من الدول الاوروبية الاستعمارية حيث رأت هذه الدول انه يمكن استغلال تلك الحركة العنصرية لخدمة مصالحها الاستعمارية في الدولة العثمانية

ومن هنا فقد ارتبطت خيوط اليهود المتسترين بالإسلام في الدولة العثمانية بشبكة الصهيونية العالمية التي توجهها القوى الاستعمارية الاوروبية حيث التقت اهداف القوى الثلاث على امر واحد وهو القضاء على الدولة العثمانية و الغاء الخلافة الاسلامية التي هي القلب النابض للنظام الاسلامي العالمي بأكمله [1]

ومن ناحية اخرى . كانت هناك طرائق مسيحية اخرى عدا تلك الطرائق الثلاث لم يكن معترف بها عملة . او جرى الاعتراف بها بعد مدة طويلة مثل الكاثوليك و البروتستانت و غيرها . ولكن و بالرغم من اخر هذا الاعتراف إلا انها كانت تمارس شعائرها الدينية وطقوسها بكامل حريتها في ظل التسامح الديني الاسلامي العثماني وجرى الاعتراف بطائفة الارمن الكاثوليك على انها ملة مستقلة في عام 1830 م

- التاريخ خير شاهد على التزام سلاطين آل عثمان الذين اعقبوا السلطان محمد الفاتح بكل الامتيازات التي منحها هذا السلطان العثماني للنصارى و المسيحيين عامة بل ان امتيازات النصارى زادت بسبب بعض الظروف السياسية و نتيجة لبعض الضغوط الخارجية حتى وصل الامر فإن اصبحت البطريكرية دولة داخل دولة و بتعبير اخر فإن البطريرك و اعوانه لم يكتفوا بالحفاظ على كيان الكنيسة و كياناتهم فقط , بل اصبح مدى التفرد و السلطة اللذين يتمتعون بهما في ظل الحكم و الادارة العثمانية المسلمة اكبر بكثير مما تمتعوا به في ظل اعظم لصمود بيزنطة النصرانية قوة و قام البطريرك في داخل و يرجع ذلكم الى تلك الامتيازات التي (191) منحتها الدولة العثمانية و ادارة سلاطينها للكنيسة و اتباعها و قد شهد القرويون هذا و اعترفوا به ص 192 ظل الاهتمام البريطاني بالشرق بعامة و بالعالم الاسلامي بخاصة بتزايد ذلك ان المصالح الاستعمارية البريطانية كانت تنمو و تزداد .

[1] هيلة السليمي , دور اليهود في اسقاط الدولة العثمانية , رسالة ماجيستير , المملكة العربية السعودية 1422هـ - 2001 م

- ظهور مجموعة من العلماء تظاهروا بالعملية و الموضوعية و التجرد و كانوا ادوات في ايدي حكوماتهم تنفذ بهم او عن طريقهم اطماعها الاستعمارية التسلطية.

المطلب الخامس :تقييم المدرسة البريطانية للإستشراق

تميزت المدرسة الإستشراقيةالبريطانية بخصائص و اتجاهات علمية تميزها عن غيرها من المدارس الاستشراقية :

- اتصاف دراستها بالشرق فلم يقتصر اهتمام المستشرقين البريطانيين في دراستهم على تاريخ الاسلام فقط بل شمل جميع فروع العلم و المعرفة في الشرق من تاريخ و ادب و عماره و فن و آثار وفلسفة [1] . كما ان هذه الدراسات لم تقتصر زمانا على فترة تاريخية محددة و لكنها تناولت الشرق القديم و الحديث , اما بالنسبة للمكان فإنها قد شملت الشرق بكامله و لم تقتصر على اشرق الاوسط فقط و السبب في ذلك يعود الى اهتمام بريطانيا السياسي بالهند و جنوب شرق اسيا . غير ان مصالحها السياسية المتجددة دفعتها الى التركيز على منطقة الشرق الاوسط و ايران و اقطار الخليج [2] .

يمتاز الاستشراق البريطاني بالتخصص بالنسبة الى دارسيه، فنجد كل مستشرق يتخصص بنوع معين من الدراسات الاستشراقية فأحدهم في اللغة و الاخر في الحضارة العربية الاسلامية و ثالثهم في الادب و رابعهم في الفن و خامسهم في الاثار و هكذا , ونجد مستشرقا بريطانيا شملت دراساته و بحوثه معظم مجالات الدراسات الاستشراقية , و كما كان التخصص النوعي هو ميزة البريطانيين فإن العديد منهم تخصص كذلك في المناطق المشمولة بهذه الدراسة فنجد بعضهم يتخصص في مسائل الشرق الاوسط و بعضهم الاخر في الدراسات الهندية و بعضهم في الدراسات الصينية و الافريقية و هكذا [3].

يتميز كذلك الاستشراق البريطاني بصفة الشعور بالتعالي و التفوق على الشرق اذ تكرسة هذه الصفة ؛ يتفوق الغرب على الشرق في ميادين الحياة كلها و ان سبب تفوق ؛ الغرب يعود الى الديانة النصرانية , بينما يرتبط تخلف الشرق بتمسكه بالإسلام , و هذه النزعة هي التي قادت حملة التعذيب التي بدأها المستشرقون و تلقفها عنهم تلامذتهم المخلصون لهم , و ثمة سبب اخر زعم المستشرقون انه ادى الى تفوق

[1] امل التثبيتي , المرجع السابق , ص 56
[2] سامي سالم الحاج , المرجع السابق 2002 , ص 128
[3] نفسه, ص 129

الغرب و هو ما يمكن ان نطلق عليه النزعة العرقية و هي التي ترى تفوق الاجناس الاوروبية على ما سواها من الاجناس في القدرات العقلية و الجسمانية و غير ذلك [1] .

تتميز كذلك بالتحليل اذ يقوم المستشرق بالتحليل ما يمكن تسميته بأدواتنا العقلية , فيدرس طبيعة الفكر , و قوانين المنطق و الانسان , و العلاقات بين افكارنا و الواقع و طبيعة الحقيقة و مدى صلاحية مختلف المناهج التي تستخدمها في الوصول الى الحقيقة او المعرفة , و من الامثلة على صفة التحليل هذه الدراسة التي اشترك فيها هامتلون جب مع عدد من المستشرقين لدراسة اوضاع المسلمين و ظهرت بعنوان " وجهة الاسلام " و كذلك جب نفسه و الاتجاهات الحديثة في الاسلام [2] .

يمتاز الاستشراق البريطاني بدوافعه الاستعمارية منها إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين؛وبث الوهن والإرتباك في تفكيرهم , كما زاد الاهتمام باللغة العربية في بريطانيا نظرا للمصالح الاقتصادية التي تربطها بالشرق الاوسط و سعيها الدؤوب للسيطرة على الثروة النفطية , و تعيين خبرائها في هذا المجال الاقتصادي الحيوي الهام , بحيث صارت العربية تتبوأ المرتبة الخامسة بين اللغات الاجنبية ذات الاهمية الخاصة بالنسبة لها .

- من اهم ما ميز الاستشراق البريطاني ارتباطه الواضح بالتنصير منذ بدايته , فأوائل المستشرقين البريطانيين كانوا من الرهبان الراغبين في التعرف على الاسلام لا من اجل اعتناقه بل من اجل العمل على تحريفه [3] ,

[1] مازن مطبقاني , المرجع السابق ,ص ص 45 -46

[2] نفسه , ص 47

[3] امل الثبيتي , المرجع السابق , ص 57

خاتمة

خاتمة:

بعد معالجتنا لموضوع الاستشراق و المستشرقون البريطانيون و دورهم في كتابة التاريخ العثماني (المدرسة البريطانية نموذجا) توصلنا الى النتائج التالية :

- الاستشراق فرع معرفي تحكمه بنية استيمولوجية كغيره من المعارف و العلوم له مصطلحاته الخاصة و ادواته المنهجية و موضوعه , و تخصص له الكراسي الجامعية و البعثات العلمية و كل ما يجعل منه فرعا اكاديميا .

- الاستشراق علم ذو حدود واسعة و احيانا غير واضحة اذ يختلط ميدانه بميادين العلوم الاخرى لان المستشرق قد يشارك في ابحاثه علماء الاثار و الاصوات و الاشتقاق و الحفريات و اللاهوت و الفنون و الفلسفة و غيرها.

- يعد المستشرقون البريطانيون من اوائل المستشرقين الاوروبيين الذين اهتموا بالدراسات الشرقية و اسسوا المدارس لذلك , و اقبل الطلبة من جميع انحاء اوروبا للدراسة فيها , و برز العديد من المستشرقين البريطانيين عبر القرون و قد اختصت الدراسة بالترجمة لأربعة منهم هم : توماس ارنولد , هاملتون جب , لويس برنارد , ارنولد ثوينبي .

- لقد نال التاريخ العثماني اهتمام العديد من المستشرقين حول العالم لما له من تأثير على الشعوب الاسلامية و الغربية في نفس الوقت و قد ألفت كتب مهمة في هذا المجال.

- لم تتحدث أغلب المصادر من الاتراك قبل اعتناقهم للإسلام مما اسهم بشكل كبير في اطلاق الحرية لأقلام المستشرقين ليصيغوا ما يريدون حيث صوروا حياة السلاطين الاوائل ممتزجة بالأساطير.

- لم يحالف الحظ أي مستشرق من المستشرقين لدخول الى الحرم العثماني أو القصر السلطاني حتى استشراف النظر اليه وحتى النساء الاوروربيات الاتي استطعن الوصول اليه لم يدخلن الى جميع المناطق فيه وإنما بعض الصالات المخصصة لاستقبال الضيوف وليس لمعيشة الحريم مما لا يعطي صورة واضحة مما زاد من قوة تخيل المستشرقين في الاتي الخاطئ تماما عندما تناولوه بالكتاب والتشويه والإفتراء ، كما أن المستشرقين تطرقوا في كتاباتهم وابرزهم جب هاملتون لكتاب المجتمع الإسلامي والغرب إلى جيش الإنكشارية وقاموا بالكذب والإفتراء حيث قالو بان جيش الإنكشارية هم غلمان لا تتعدى اعمارهم لعشر سنوات وبأن الدولة العثمانية تأخذهم بالغصب.

- جاءت سياسة التسامح الديني في الاسلام ضمن الشرائع الاساسية وقد انتهجتها الدولة العثمانية في تعاملها مع اهل الذمة ففي الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تمارس سياسة التسامح الديني بمنتهى البساطة حتى بات جزءا اساسيا من سياستهما فشلت اوروبا في تخطي عقبة التسامح الديني و لو على الاقل مع اصحاب المذاهب الاحرى من الديانة نفسها و لو ان الدولة العثمانية لم تطبق التسامح الديني مع الاقليات المسيحية في البلاد التي فتحتها لما وجدنا اي مسيحي في هذه البلاد . و لاختفت المسيحية من تلك المناطق كما اختفى الاسلام من الاندلس .

إن الدراسات الاستشراقية لها من الاهمية مثل الدراسات الاخرى رغم ما يشوبها من ايديولوجيات و توجهات اصحابها في كثير من الاحيان , فهي تتميز بمنهجية دقيقة تفوق منهجية الدراسات العربية احيانا و تحوي عادة عديد الوثائق و امهات المصادر التي تفيد الباحث في مختلف الدراسات . لذلك لا يمكن اغفال المدى الذي تسهم به مثل هذه الدراسات في البحوث العلمية بصفة عامة و التاريخ العثماني بصفة خاصة و اهمالها سوف يجعل الباحث نفسه يبتعد عن الموضوعية و ينحاز لوجهة نظر معينة.

قائـــمة الملاحق

الملحق رقم 01[1]



الصورة ب: هاملتون جب



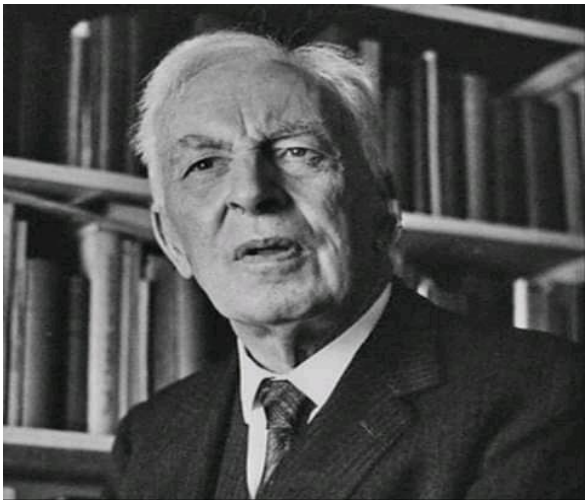
الصورة أ: توماس أرلوند

[1] موقع ويكيبيديا.

الملحق رقم (2) [1]



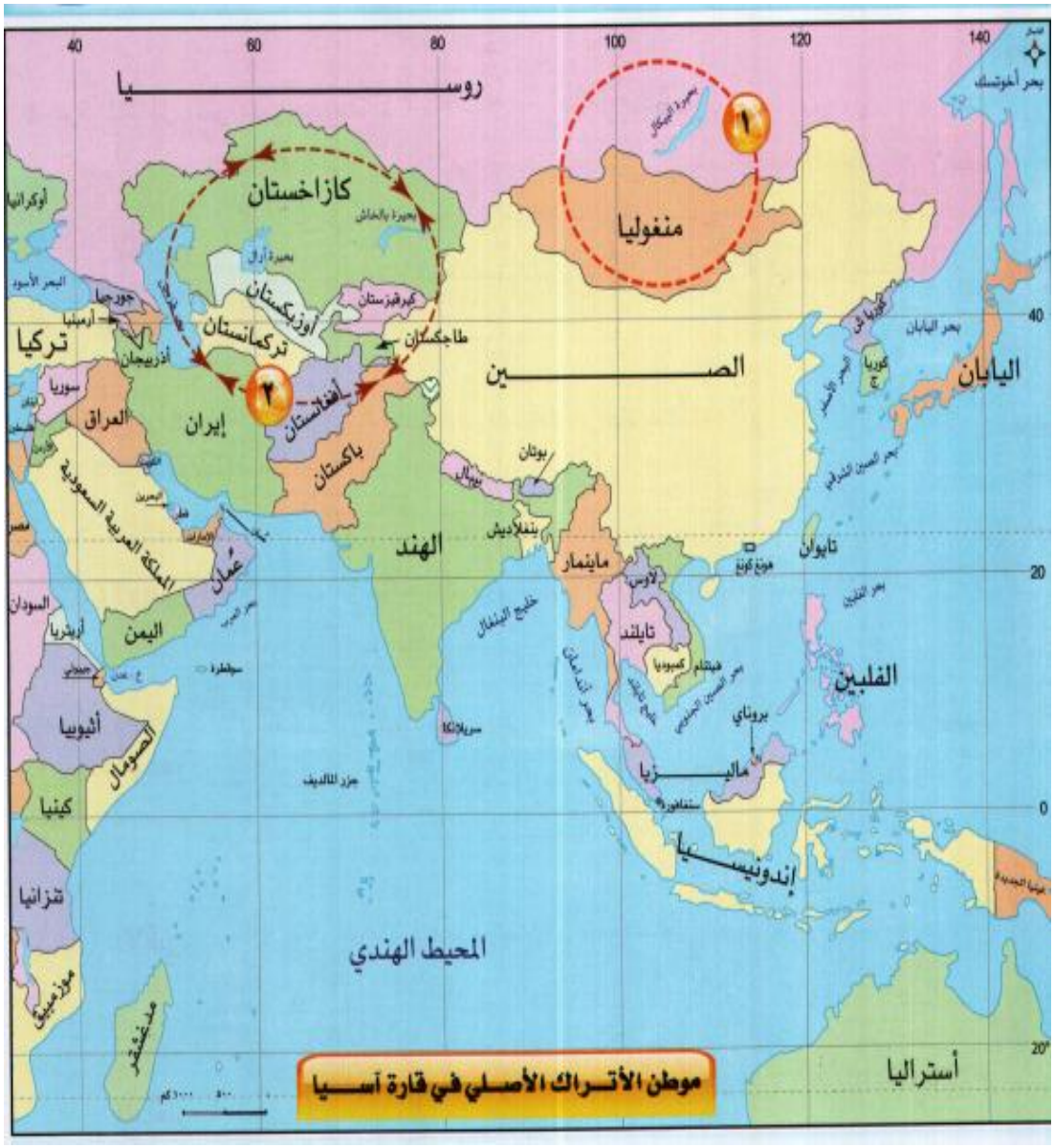
الصورة د: لويس برنارد



الصورة ج: أرنولد تويمبي

[1] موقع وكيبيديا

الملحق (3)خريطة تمثل الموطن الاصلي للأتراك[1]



[1]-سامي المغلوث، أطلس تاريخ الدولة العثمانية، ط1، مكتبة الغمام الذهبي، الكويت، 1435هـ- 2014م، ص 13

ملحق (4)خريطة تمثل معركة تشالديران[1]



[1]- سامي المغلوث، المرجع السابق، ص 312

الملحق (5)خريطة تمثل معركة مرج دابق



[1]- سامي المغلوث، المرجع السابق، ص 317

الملحق رقم 06 يبين مخطط القصر

الاندرون البيرون الايالات

(الخدمة الداخلي) (الخدمة الخارجية) (ادارة الولايات)

أ - الاغوات

أ - الاغوات:[1]

اغا الباب ← بك بكوات

اغا الانكشارية بك بكوات ←

اغا البلاط ← بك بكوات ←

الاغوات البيض

امين الغرفة الخاصة ← بك بكوات

حامل السيف حامل العلم بك بكوات او بك سنجق

امين اللباس رئيس الحراس بك بكوات او بك سنجق

امين الركابمسؤول الاسطبل

امين اللباس الداخلي ← كبير الذواقة بك سنجق او صوباشي

اغوات فرسان السلكان

كبير الجاوشية

المتفرقة ← صوباشي

كبير البساتنة ← بك سنجق

مفتش الحراس

رئيس فرقة صانعي الاسلحة

رئيس فرقة المدفعية صوباشي

رئيس سائقي العربات

[1] اينالجيك، المرجع السابق، ص 131.

قائمة البيبليوغرافيا

قائمة البيبليغرافيا

القرآن الكريم برواية ورش

أولا: المصادرالعربية

1. آل حميد سعد، أهداف الإستشراق و وسائه، جامعة الملك سعود، قسم الثقافة الإسلامية.
2. باشا زايد عاشق، تواريخ آل عثمان، استانبول، 1332م.(ب.ط) (ب د د)
3. بن عبود محمد، مناهج المستشرقون، في الدراسات الإسلامية، ج1، المنظمة العربية للتربية والثقافة و التعليم، إدارة الثقافة، تونس، 1985م.
4. بن نبي مالك، إنتاج المستشرقون و اثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط1،دار الإرشاد، بيروت، (1388ه/1969م)
5. الحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط7، دار النفائس بيروت، (1414ه/1997م).
6. حليم إبراهيم، التحفة الحليمية، ط1ن مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، (1408ه/1986م).
7. السباعي مصطفي، الإستشراق والمستشرقون(ما لهم و ما عليهم) ، دط، دار الوراق للنشر و التوزيع، (دت). (د.م.ن)
8. العاني عبد القهار، الإستشراق و الدراسات الإسلامية، ط1ن دار الفرقان للنشر و التوزيع، الأردن، (1421ه/2001م).
9. العقيقي نجيب، المستشرقون، ج1،ج2، ط 4 .دار المعارف، القاهرة، (دت).
10. الغازي أماني بنت جعفر بن صالح، دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، ط1، دار القاهرة، القاهرة، 2007م.

11. مانتروان روبير، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، ج 1،ط1. دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993م.

ثانيا: المصادرالأجنبية

1. أربري، المستشرقون البريطانيون، تر: محمد الدسوقي النويهي، وليام كولينز، لندن، 1946م.(د.ط)، (د.د.ن)

2. أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، تر: حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين إسماعيل، النجراوي، ط2، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1971م.

3. أرنولد تونيبي، مختصر دراسة التاريخ، تر: فؤاد محمد شبل، تق: عباده كحيلة شارع الجلابة بالأوبرا، ج2.، الجزيرة، القاهرة، 2011م (د.ط).

4. الباجونج جان، السلطانتان خرم ومهرماد فرنة القانوني و سليلته، تر: وليد عبد الله القط، دار النيل للطباعة، القاهرة، 2014م

5. بارك رودي، الدراسات العربية و الإسلامية في الجامعات الألمانية- المستشرقون الألمان منذ ثيودور دولكه، تر: مصطفى عامر ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2004م.(د.ط)

. برنارد لويس:

6. ، استانبول و حضارة الخلافة الإسلامية، تر: سيد رضوان علي، ط2، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية، (1402 هـ / 1982م).

7. برنارد لويس، ظهور تركيا الحديثة، تر: قاسم عبده قادم، سامية محمد، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2016م.

8. برنارد لويس،تاريخإهتمام الإنجليز بالعلوم العربية، ط2. ست مقالات نشرت المستمع العربي، (ددن)، (دت).

9. بروكامان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس منير البعلبكي، ط 1.دار العلم للملايين، بيروت، 1968م.

10. بيروسيات ايرينا، الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية، ط1، مركز جمعية الماجد، دبي ، 2006م.

11. جب هاملتون و بوون هارولد، المجتمع الإسلامي و الغرب، تر: أحمد إيبش،ج1،ج2. ط1، دار الكتب الوطنية، الإمارات العربية المتحدة، (1434ه/2012م).

12. جب هاملتون، دراسات في حضارة الإسلام، تح: ستانفورد شو، وليم بولك، تر: إحسان عباس ؛محمود يوسف نجم، محمود زايد، دار العلم للملايين، لبنان، 1979م

13. سعيد إدوارد، الإستشراق- المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، ط1، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، 2006م.

14. سعيد إدوارد، تعقيبات على الإستشراق، تر: صبحي حديده، المؤسسة العربية للدراسات واانشر، بيروتن 1986م.

15. فوك يوهان، تاريخ حركة الإستشراق للدراسات العربية و الإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، تر: عمر لطفي العالم، ط1 ، دار قتيبة، بيروت، دمشق، (1417ه/1996م).

16. كولان صالح، سلاطين الدولة العثمانية، تر: منى جمال الدين، ط1، دار النيل للطباعة والنشر،القاهرة، (1435ه/2014م)

ثالثا: المراجع العربية

1. أبو غنيمة زياد، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين من خلال كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية، عرض نقد و تعليل، ج1، ط1.(ددن)، (د.م.ن)، (د.ت)

2. الأرناؤوط محمد، دراسات و وضائف حول الدوشرمة، ط1، دار قدمية، عمان، 1991م.

3. إسماعيل علي محمد، الإستشراق بين الحقيقة و التضليل، ط 6.دار الكتب المصرية(1436ه/ 2014م).

4. الخربوطلي علي حسن، المستشرقون و التاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،1988م.(ب.ط)

5. إنالجيك خليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الى الإنحدار، تر: محمد الأرناؤوط، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002م.

6. بن سخري زوبير، المسلم العثماني كآخر في كتابات لويس برنارد، النور للدراسات الحضاري والفكرية، العدد 18، السنة التاسعة، يوليو 2018م.

7. الجابري عبد المتعال محمد، الإستشراق وجه الإستعمار الفكري، ط1، مكتبة وهبة، مصر (1416ه/1995م).

8. الجندي أنور، الإسلام و الدعوات الهدامة، دار الكتاب اللبناني، بيروت. (ب.ط) ،(ب.ت)

9. الحاج ساسي سالم، نقد الخطاب الإستشراقيالضاهرةالإستشراقية و اثرها و الدراسات الإسلامية، ج1. ط1. دار المدار الإسلامي،بيروت، 2001م.

10.حسين محمد عبد الغني، دراسات في الادب العربي والتاريخ، دار القومية لطباعة و النشر، القاهرة. (د.ط) (دت).

11.دراج محمد، الدخول العثماني الى الجزائر و دور الإخوة بربروس (1512ه/1543م)، ط1، الأصالة لنشر و التوزيع، الجزائر، (1433ه/2012م).

12.ديب عبد العظيم، المستشرقون و التراث، ط3. دار الوفد للطباعة و النشر و التوزيع المنصورة، (1413ه/1992م).

13.زقزوق محمود حمدي، الإستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط1. دار المعارف، القاهرة، (1417ه/1997م).

14. الزيادي محمد فتح الله، الإستشراق اهدافه و وسائله، ط1 ، دار قتيبة، القاهرة، 1998م.

15. سعد جهاد، برنارد لويس صهينة الغرب و تتريك العالم الاسلامي،ط1. المركز الغسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت(1439ه/2018م).

16. سمايلوقيتش أحمد، فلسفة الإستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، (1418ه/1995م). (د.ط)

17. شاهين ثريا، دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية، تر: محمد حرب، ط1. دار المنارة، (1418ه/1997م).

18. شرف عبد الرحمان، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ط1، معارف نظارات جليلة، مطبعة سي، اسطنبول، 1309ه..

19. شلبي أمين، نظرات في أرنولد تونيبي، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، 2000م. (د.ط)

20. الشناوي عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980م. (د.ط)

21. الصافور مجدي عبد الحميد، سقوط الدولة العثمانية ، دار الصحوة، القاهرة، 1994م. (د.ط)

22. الصلابي علي محمد، الدولة العثمانية- عوامل النهوض و أسباب السقوط،ط1، التوزيع و النشر الإسلامية، (1421ه/2001م).

23. صلاح مخلوف ماجدة، الحريم في القصر العثماني،ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، (1418ه/1998م).

24. طقوش محمد سهيل، العثمانيون من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة، ط1، دار بيروت المحروسة، بيروت، (1415ه/1995م).

25. عابدين معاذ، التاريخ الإقتصادي للدولة العثمانية، (974، 1342ه/1566.1924م)، جامعة اليرموك، (1437ه/2017م).

26. عبد الرؤوف ، الفتوحات الإسلامية و التسامح اللاتيني، في محاضرة القيت في مؤتمر المسلمين التقدميين، مؤسسة فريدريش ألبرت، بيروت،2009. (د.ط)

27. عليان محمد الفتاح، أضواء على الإستشراق، ج2. ط1. دار البحوث العلمية (1400ه/1980م).

28. فؤاد محمد، قيام الدولة العثمانية، تر: احمد سعيد، القاهرة، 1965م. (د.ط)، (د.د.ن)

29. فوزي فاروق عمر، الاستشراق و التاريخ الإسلامي، القرون الإسلامية الأولى، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان. (د.ط) (دت).

30. القابجي حسين الموسوعي، دور الاستشراق و أثره على الفكر الإسلامي، دراسة تاريخية وطنية، ط2. العراق، 2020م. (د.د.ن)

31. المرسي الصفصائي أحمد، اسطنبول عبق التاريخ و روعة الحضارة، ط1، الأفاق العربية، القاهرة، (1419ه/1999م).

32. المطباقي مازن صلاح، الإستشراق و الإتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، عالم الأفكار، 2011م.(د ط)

33. الميداني عبد الرحمان حسن حنبكة، أجنحة المكر الثلاثة و خوافيهان،ط8، دار القلم ، دمشق، 2000.

34. النبهان محمد فاروق، الإستشراق (تعريفة ، مدارسه، أثاره) ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة، الرباط، المملكة المغربية، (1433ه/2012م). (د ط)

35. نجم زين العابدين شمس الدين، تاريخ الدولة العثمانية،، دار المسيرة للنشر و التوزيع، عمان. (د ط)(دت).

36. نصري أحمد، أداء المستشرقون الفرنسيين في القرآن الكريم، ط1، دار القلم للطباعة و النشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 2009م.

37. النعيم عبد الله محمد الأمين، الإستشراق في السيرة النبوية،ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي سلسلة الرسائل الجامعية، 1997م.

38. النعيم عبد الله محمد الامين، الإستشراق في السيرة النوية، دراسة تاريخية لأراء (وات بروكلمان، قلهاورت)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1997م. (د.ط)

39. النهلة علي ابن ابراهيم، المستشرقون و نشر التراث، دراسة تحليلية و نماذج من التحقيق و النشر والترجمة، ط1، مكتبة الملك فهد، الرياض، (1417ه/1996م).

40. الغالي الغربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي، 1288-1916، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011.

41. ياغي اسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي، ط2. الرياض، 1995م. (د.د.ن)

رابعا: المجلات

1. الأنصاري عابد براك، مهدي عبد الحديم حسين، عوامل التحضير عند ابن خلدون (ت 808ه) وتوينبي ، دراسة مقارنة، مجلة الملوية للدراسات الأثرية و التاريخية، المجلد الرابع، العدد السابع، السنة الرابعة، آذار، 2017م

2. ريوقي عبد الحليم، ماهية الإستشراق (النشاة ، المناهج و الاهداف، الأصناف و الوسائل)، مجلة الإنسان و المجتمع، العدد02، ديسمبر 2011م.

1. سعيد إدوارد، إعادة النظر في الإستشراق، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد 115، السنة الثامنة و العشرون، 2003م

2. سعيد إدوارد، الإستشراق، مجلة أدبية فكرية ثقافية إجتماعية، (دع)، (دت).

3. سيحاوي أمينة، الإستشراق و إسهاماته في كتابة التاريخ العثماني- برنارد لويس نموذجا ، مجلة العبر للدراسات التاريخية و الأثرية، المجلد الثاني، العدد الأول، الجزائر، يناير 2019م.

3. شامان سركسيان، مساهمة علم الإستشراقالإنسانيت، من خلال الدراسات الأرمينية ، مجلة E الداب الأجنبية، العدد 123، دمشق، 2005.

4. شوق شاكر عالم، الإستشراق اخطر تحدا للإسلام، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية، المجلد الثالث (د ط) بنغلاديش، العدد 02، ديسمبر 2006م.

4. صبحي عبد المنعم محمد، المستشرق برنارد لويس و منهجية في دراسة التاريخ الإسلامي، مجلة كلية دار العلوم، العدد الثالث عشر، يونيو 2005م.

5. عامر محمود، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، العددان 117-118 كانون الثاني، حزيران 2012م.

6. العمد علي توفيق، نحن و المستشرقون مع دراسة تحليلية لاثر المستشرقون دوزي في المعجمة العربية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلة 15ن 2001م.

5. الملا جاسم ناصر عبد الرزاق، المستشرقون نوماس ارنولد و التحول في الدراسات الإستشراقية، كتاب الدعوة إلى الإسلام، مجلة الفراهدي، العدد 17 كانون الأول، 2013م.

6. نجم زين العابدين شهاب الدين، الوظائف العسكرية و التشكيلات القتالية في العهد المملوكي و العهد العثمانين مجلة كلية خالد العسكرية، العدد 29 السنة العاشرة 1413م.

7. **خامسا: الرسائل الجامعية**

1. أمل عبيد عواض الثبيتي، السيرة النبوية في كتابات المستشرقين البريطانيين- دراسة تاريخية نقدية لأراءالنوماسكارابلن توماس أرنولد، الفريد جيوم ، رسالة ماجستير، السعودية، 1424هـ

2. شايب الدور محمد، الإستشراق الفرنسي و التراث الشعبي في الجزائر، رسالة الماجستير، جامعة وهران، (2009-2010م).

3. ضيف الله فاطمة الزهراء، التاريخ الاسلامي من منظور الإستشراقالإنجليزين لويس برنارد نموذجا، رسالة دكتوراه، كلية الاداب و اللغات و ادابها، (1440-1441ه) (2019-2020م).

4. الغازي اماني بنت جعفر بن صالح، الدولة العثمانية من خلال كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية- عرض و عقد و تحليل، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية (1431ه/2010م).

5. فتح الله محمد، الترجمات الإستشراقية للقرآن الكريم، دراسة الترجمتين ريجيسبلاشير و جال بيركن بمعاني القرآن الكريم الى الفرنسية، رسالة دكتوراه (1435-1436ه) (2014-2015م).

6. محمد أحمد محمد(الثقفي، زواج السلاطين العثمانيين من الأجنبيات و أثره في إضعاف الدولة، رسالة ماجستير، جامعة ام القرى، (1431ه/1432م).

8. الملا جاسم ناصر عبد الرزاق، المستشرقون نوماس ارنولد و التحول في الدراسات الإستشراقية، كتاب الدعوة إلى الإسلام، مجلة الفراهدي، العدد 17 كانون الأول، 2013م.

سابعا: الموسوعات

1. أوزتونايلماز، مادة الحريم، موسوعة التاريخ الكبرى، القروب اسطنبول. (د ط)(دت).

2. جدوى عبد الرحمان، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، لبنان، 1933م.

3. الكيالي عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت. (د ط) (دت).

ثامنا: المعاجم

1. صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مر: عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (1421هـ/2000م). (د.ط)
2. مختار الصحاح في اللغة و العلوم معجم وسيط، تجديد و صحاح العلامة الجوهري و المصطلحات العلمية و الفنية للجامع و الجامعات العربية، تق: عبد الله العلالي، إعداد نديم مرعشلي و غيره، ط1. دار الحضارة العربية، بيروت، 1989م.
3. المعجم الوسيط، مجتمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004م.
4. الموسوعة الحرة وكيبيديا .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان
إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة .....أ

المبحث الأول

الإطار المعرفي والتاريخي للاستشراق

تمهيد 1

المطلب الأول: مفهوم الاستشراق 1

المطلب الثاني: نشأة الاستشراق..... 5

المطلب الثالث: خصائص الاستشراق 8

المطلب الرابع: أهم المدارس الاستشراقية 9

المطلب الخامس: مناهج المستشرقين و دوافعهم.....12

المبحث الثاني

مدرسة الاستشراق البريطانية ـ توجهاتها وأثرها.

تمهيد.....19

المطلب الأول: بداية الاستشراق البريطاني.....20

المطلب الثاني: رواد مدرسة الاستشراق البريطانية.....21

المطلب الثالث: وسائل المدرسة البريطانية:.....30

المطلب الرابع: التراث الإسلامي والمدرسة البريطانية للاستشراق.....32

المطلب الخامس: عوامل ازدهار الدراسات الشرقية في بريطانيا 35

المبحث الثالث

المستشرقون البريطانيون وأهم قضايا التاريخ العثماني26

تمهيد 38

المطلب الأول : قيام الدولة العثمانية 38

المطلب الثاني : ضريبة الدم (الدوشرمة)..... 45

المطلب الثالث: الحرملك 55

المطلب الرابع: أهل الذمة في الدولة العثمانية 65

المطلبالخامس :تقييم المدرسةالبريطانيةللاستشراق 74

خاتمة: 38

قائمة الملاحق 40

قائمة البيبليغرافيا..... 87

فهرس المحتويات..... 98